

في قبضة الأقدار

كانت حياة كارولين ليندسي سلسلة من المآسي : ماتت أمها وهي طفلة وفقدت والدها الذي أحبته حباً كبيراً . وما كادت تبدأ بشق طريقها في الحياة حتى أوقعتها اختها دورندا في مأزق حرج . ودورندا ابنة زوجة أبيها هربت من البيت تاركة لكارولين طفلاً حراماً والده شاب إيطالي رفض القربان بها... وتفاقمت المشكلة عندما ظهر عمّ للطفل يدعى دومينيكو فيكاري جاء من روما بحثاً عن دورندا وابنها عارضاً عليها الزواج تكفيراً عن ذنب ابن عمه فيتوريو... ويموت فيتوريو في حادث طائرة...

وكي تضمن حياة رغيدة للطفل ادعت كارولين انها دورندا ووافقت على الزواج من دومينيكو شرط ان يكون الزواج شكلياً فقط !

لكن الامور لم تكن في مثل هذه البساطة ولاسيما في روما... ماذا حدث في روما ولماذا هربت كارولين الى وطنها؟ وكيف اكتشف دومينيكو انها ليست أم الطفل الذي تزوجها من أجله... كل هذا يخفق كقلب جريح بين صفحات هذه القصة الرائعة.

رِما

مارغرييت روم

في قبضة الأقدار



www.lilas.com

لبنان ١.١٦	الكويت ٧.٠٠	اليمن ٨.٠٠	السودان ٧.٠٠
سورية ١.١٨	الإمارات ٩.٠٠	تونس ١.٠٠	U.K. ٤.١
الأردن ٥.٠٠	البحرين ٩.٠٠	ليبيريا ٧.٠٠	France F 10
العراق ٥.٠٠	قطر ٩.٠٠	الغرب ٨.٠٠	Greece Drs 120
السعودية ٨.٠٠	عمان ٩.٠٠	مصر ٧.٠٠	Cyprus P 1

العنوان الاصلى لهذه الرواية بالانكليزية

**THE MARRIAGE OF
CAROLINE LINDSAY**

١ - الاختان

غادر المعزون المنزل وتركوا كارولين التي فضت كل عروض
الجيران لتقيم معهم بعض الوقت حتى تتغلب على أحزانها بعد موت
أبيها المفاجيء .

جلست كارولين أمام المدفأة تحاول أن تدخل الحرارة الى جسمها
الذي خدّره الاجهاد . فلقد ظلت طوال الأيام الثلاثة الماضية في ما
يشبه الفراغ المستمر، كانت تتحرك ألياً ، لتأكل وتتكلم وتشتري
ملابس الحداد وكان شخصاً آخر تولى القيام بواجباتها منذ موت أبيها.
راحت تفكر في أبيها ، كان مرحاً متفائلاً . لا يعبأ بأية مشكلة مهما
كانت كبيرة.

ماتت والدتها وهي بعد طفلة في شهرها العاشر . وبرغم أن والدها
شارلز لندسي أحب أمها حباً جنونياً، الا أنه سرعان ما أيقن أن حياته
مستحيلة بلا امرأة الى جانبه بعد وفاة زوجته .

لم يكن بينه وبين زوجته الجديدة ميلدرد أي حب كبير أو تعاطف،
ولكن كان لكل منهما ما يعطيه للآخر. فقد كانت أمماً دون زواج
وكانت ابنتها دورندا في حاجة الى أب تنسبها اليه، وفي مقابل ذلك

© Margaret Rome 1968
© 1962 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف لما رغريت روم
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة
لـ هارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات :

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece.

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

حصل هو على رعاية المرأة . وكان الخاتم الذهبي في يدها يعني الاحترام بالنسبة اليها.

وكانت العائلة راضية قانعة ، فالفاتتان كانتا كشيقتين الا أن الرابطة العائلية كانت تهتز عندما تصاب احدهما في حادث أو تقابلها مشكلة . فكانت كارولين تلجأ الى أبيها و دورندا الى أمها.

بقيت الحال على هذا المنوال ثلاث سنوات حتى توفي ميلدرد، ونتج عن ذلك أن شعرت دورندا بالحرمان . وحزن شارلز و كارولين مثلها على وفاة ميلدرد الا أن شعور كل منهما بوجود الآخر الى جانبه خفف من وطأة الصدمة . اما دورندا فبقيت في غربة عنها.

لذلك لم يستغرب شارلز عندما قررت دورندا الذهاب الى لندن بعد مضي ثلاثة أشهر على وفاة والدتها.

نظرت كارولين إليها غير مصدقة وقالت :

«اي لندن ولماذا ؟ ماذا ستفعلين هناك ؟»

«قررت أن ألتحق بمدرسة للآزياء في لندن. انهم يضمنون لي عملاً عندما أنتهي من التدريب. وبما أن هذا العمل طالما راقني فأني واثقة من انني سأنجح. في أي حال دفعت المصاريف وهم يتوقعون حضوري خلال يومين عند بدء الدورة الجديدة.»

وبعد يومين عدت دورندا الى لندن ووعدت بأن تكتب في انتظام بمجرد أن تستقر . وتحرك القطار من المحطة وكان آخر ما شاهدها يدها وهي تلوح من النافذة وقد ارتسمت على وجهها أمارات السعادة .

سقطت قطعة خشب في وسط النار فانتزع صوتها كارولين من تأملاتها. وإذا بجرس الباب يدق فسالت :

«من الطارق ؟»

احتارت كارولين في البداية ووقفت تحديق في الفتاة الطويلة الأنيقة الواقفة أمام الباب . ثم صرخت بعدما عرفت من هي . وفتحت الباب واندفعت نحوها:

«دورندا حبيبتي ، كنت أعلم أنك ستحضرين ، طلبت من الله أن يحضري وها أنت قد جئت .»

«لقد نضجت . إنك جميلة . لو رأيك . رينيه لعرض ان يرسمك.»

«ومن هو رينيه ؟»

«انه صاحب العمل المصور الذي أعمل موديلاً عنده .»

وتساءلت دورندا في نفسها أين ستجد كارولين رجلاً مدركاً يستطيع أن يحول سذاجة الطفلة الى نضج امرأة .

«دورندا لا يمكنك أن تتصورى فرحتي بمجيئك . دعيني أحمل حقائبك . ادخلي واجسي قرب النار وسأد لك العشاء .»

ابتسمت دورندا وهي تجلس على كرسي أبيها القديم وقالت :

«انا سعيدة مثلك يا عزيزتي . اني اتله على قنجان من الشاي .»

أثناء تناولهم العشاء تحدثا عما فعلاه أثناء انفصالهما في السنوات الثلاث . ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل فنظرت كارولين الى

الساعة في دهشة وقالت :

«مضى الوقت من دون أن أعد لك السرير. يجب الا تستغرق في النوم لأن السيد ولكنز سيحضر حوالي العاشرة ليطلعنا على وصية والدي.»
أدركت كارولين وهي تتكلم أنها المرة الأولى التي تذكر فيها والدها منذ وصول دورندا. وأدركت دورندا ماذا كان يدور في خاطرها وأمسكت بها واحتضنتها قائلة :

«انا أسفة لأنني لم أصل قبل الآن ياكارولين لأكن معك وأساعدك في ترتيب المأتم . ولكن كما قلت لك ان عملي يشغلني كثيراً . وكلها قررت الكتابة اليك حدث شيء ما . وبعدما بلغت القمة فجأة أصبحت الحياة كلها قلقاً وارتباطات اجتماعية . حفلات . رحلات الى الخارج . كانت الحياة كالدوامه وشعرت كأني دمية في خيط لا أجد وقتاً لنفسي.»
ونظرت اليها كارولين في دهشة وقالت :

«هذا من نعم الله . فالدنيا كلها في تصرفك : سفر . مغامرات . حب . هل قابلت فتى وسياً يادورندا هل أحببت ؟»

وانزعجت كارولين للشحوب الذي ظهر على وجهها عندما سمعت هذا السؤال . فصرخت ولفت ذراعها حول كتفي أختها لكن دورندا أبعدت ذراعها وابتعدت عن ضوء الصباح وقالت :

«اني أشعر بتعب شديد . هل يمكن أن أصعد الى غرفتي؟»

ودون انتظار رد صعدت السلم ودخلت غرفة نومها القديمة . وصعدت كارولين وراءها وما أن وصلت الى باب الغرفة حتى سمعت دورندا وهي تغلق الباب بالمفتاح . وذهبت الى غرفة نومها وأمضت

الليل تلازمها النظرة المتأللة البائسة التي ظهرت على وجه أختها.
استيقظت كارولين صباح اليوم الثاني على صوت الأواني وصفيح غلاية الشاي . كانت قلقة لم تتم الا في الساعات المبكرة من الصباح . وشعرت دورندا بأنها في بيتها فوثبت من فراشها لتأخذ دوشاً سريعاً ثم ارتدت ملابسها وسرحت شعرها ونزلت الى المطبخ تجهز الطعام ونظرت الى أختها بأبتسامة مشرقة وقالت :

«صباح الخير ياكارولين . الفطور جاهز . صبي القهوة.»

أخذت دورندا تدندن بجذل وهي تحرك في المطبخ . وكأن لم يكن لفتاة الليلة السابقة وجود . وضعت الماكياج بمهارة ولكن لم تتمكن من اخفاء جفونها المنتفخة ولا نظرتها الحزينة .

قالت كارولين:

«هل أنت بخير يادورندا؟ لماذا أغلقت باب غرفتك بالمفتاح في الليلة الماضية؟ لم أتمكن من الدخول لاعداد فراشك . كيف نمت ؟ هل أزعجتك ؟ صدقيني لم أقصد أن أكون فضولية .»

«تهلي ياكارولين في توجيه أسئلتك الواحد بعد الآخر . في حال انني أرفض بشدة الرد على هذا الفيض من الاسئلة قبل الاكل.»

ابتسمت دورندا وقالت لكارولين:

«تعال . اجلسي وتناولي الفطور . السيد ولكنز سيكون هنا بعد نصف ساعة . ويجب ألا يبدو علينا الكسل عند حضوره . انك تعلمين نظرياته في الاستيقاظ المبكر.»

كانت كارولين تبدو حائرة وفهمت اختها السبب فقالت:

«أرجوك امهليني بعض الوقت لاروي لك كل شيء.»

أحاطت كارولين دورندا بذراعيها وعانقتها .

«ليس لي الحق اطلاقاً في أن أوجه اليك أية أسئلة . وسأحاول ألا أقحم نفسي في شؤون غيري ولكن تذكرني أنه اذا كان في امكاني معاونتك فلن أتردد في ذلك.»

«بارك الله فيك ياعزيزتي . ربما سألتك المساعدة ولكن لتتناول الطعام الآن وننسى.»

وصل السيد ولكنز في العاشرة . ولم يبد أي دهشة لوجود دورندا، بل حياها بابتسامة فائرة وألقى عليها نظرة سريعة من خلال نظارته العتيقة. وأخرج من حقيبته الصغيرة وثيقة قانونية وعندما جلست كلتاها بدأ في قراءة وصية الأب.

كانت الوصية قصيرة وفي صميم الموضوع . فكل ممتلكاته من نصيب كارولين . المنزل ومحتوياته.. بضع مئات من أسهم الشركة قلماً لتحقيق ربحاً وممتلكاته الشخصية . ولم يرد ذكر لدورندا . فسألت قائلة :

«إن والدي بالتأكيد لم يتجاهل دورندا تماماً ؟ إنها تستحق نصيباً مثلي في الميراث.»

ورد السيد ولكنز غاضباً :

«يا ابنتي العزيزة دعيني أكمل . لا أعتقد أنك تدريكين . وكذلك والدك أنه بمجرد سداد كل الديون المتعلقة لن يتبقى ما يمكن اقتسامه. طلبت

منه عدة مرات أن تتدربي على بعض الأعمال لتتمكني من إعالة نفسك اذا اضطرتك الظروف الى ذلك، لكنه دائماً كان يتجاهل الامر ويحيب بأنك سعيدة وانه يريدك قريبة منه طوال اليوم . واني لأسف لأنه كان أنانياً في نظرتة. وها أنت الآن في موقف صعب جداً. والواقع أن الأنسة دورندا أسعد منك حالا . فقد أتاحت لها فرصة العمل، وأصبح مستقبلها مؤمناً في حين أنك لست مدربة أو مؤهلة لأي عمل.»

«هل تقصد اني سأضطر الى بيع البيت ؟»

تنحى ولكنز ونظر اليها بعطف وقال :

«لا فقد نتمكن من الاحتفاظ به، لكن لن تكون هناك نقود.»

واتجه الى الباب لينصرف . ثم قال :

«سأزورك بعد بضعة أيام وسيكون في وسعي أن أحدث بتفصيل أكثر عن موقفك المالي . لكنني أنصحك يا سيدتي الصغيرة بأن تفكري جدياً في اختيار عمل . بعدئذ سيكون في وسعي تحديد المبلغ الذي أخصصه لتدريبك.»

«ماذا سأفعل ان لم تكن هناك نقود ؟ كيف أدير حالي ؟ لابد من أن أحصل على نقود من أي مكان.»

كانت كارولين تفكر في النقود وكيف كان والدها ينفقها على شراء

التحف وتذكرت في حزن ماذا كان يقول لها :

«انك ياكارولين أعظم كنز وأثمن جوهرة في مجموعة مقتنياتى.»

قطعت دورندا حبل أفكارها قائلة :

«كارولين قلت إن لدي شيئاً أريد أن أقصه عليك»

فأجابت كارولين:

«نعم . أرجوك أن تتكلمي هل هو شيء يتعلق بعملك؟»

«نعم أعتقد أنه يتعلق بالعمل بطريقة غير مباشرة . سأضطر إلى تركه لفترة.»

«تتركين العمل ؟ لماذا أأنت بخير؟»

واسترسلت قائلة :

«أعلم أنك في حاجة إلى راحة ، وقد عدت إلى بيتك لتسترددي صحتك من التزامات الحياة الاجتماعية.»

ابتسمت دورندا ساخرة، وأنجبت ولزمت بالصمت فترة، حتى ظنت كارولين أنها غيرت رأيها في البوح بسرها. إلا أنها خرجت عن صمتها وقالت:

«سأنجب طفلاً.»

قالت هذا في هدوء حتى أن كارولين اعتقدت أن الأمر مجرد مزاح. إلا أن دورندا رددت الكلام نفسه ببطء ووضوح وبأسلوب لا يتطرق إليه الشك وقالت بمرارة :

«سأنجب طفلاً. اني لست متزوجة ولايحتمل أن أتزوج الآن. انه لا يريدني. حاولت الاتصال به لكنه تجاهل رسالتي اليه.»

أخذت دورندا تدور في عصبية مفاجئة تحاول حبس دموعها واهتز جسدها وجشت قرب مقعد كارولين وقالت:

«ماذا أفعل ياكارولين ؟ أرجو مساعدتي . لا تتركيني . انك الوحيدة التي يمكن أن أعتمد عليها . انك كل عائلتي.»

أجابت كارولين :

«لا تبكي ياعزيزتي. طبعاً سأفعل كل ما في استطاعتي لمساعدتك . أنت تعرفين ذلك.»

لم تصدق للوهلة الاولى . هذا لا يمكن أن يحدث لأختها دورندا . انه شيء مكن أن يحدث فقط لأناس آخرين . ولكن ليس لأختها .

عاشت كارولين حياة بسيطة سهلة محصنة من الجانب الشيء من الحياة في حمى أبيها ، فجعلها هذا غير مستعدة لسماح هذه القصة . ولم تنح لها أبداً فرصة تعرف منها أي شيء على صواب أم على خطأ . ولم يسبق أن طلب منها أحد أمر يحتاج إلى سعة في الصدر أو إلى تأنيب وتوبيخ ...

هزتها قضية دورندا فعانقتها معيرة عن كل الحب الذي كان يجيش في صدرها نحوها . حاولت تهدئتها وانتظرت حتى تنتهي العاصفة . وعندما هدأت دورندا بدأت تروي قصتها منذ البداية :

«قابلته في حفل أقامه صاحب العمل رتيه احتفالاً بعيد ميلاده . لم يكن صديقاً له تماماً ولكنه كان يقيم معه أثناء وجوده في لندن للعمل الذي أرسلته الشركة فيه . كان وسيم الشكل أسمر اللون فارغ الطول على غير عادة الايطاليين.»

وهنا انطلقت كارولين :

«اذن فهو ليس انكليزياً».

«كان نشطاً مرحاً. ليس في وسعي أن أقول كيف أحبته يا كارولين».

واضطرب صوتها ثم واصلت :

«يمكنني أن أجزم بأنه أحبني ولم يخرج معي لقضاء وقت ممتع فقط. كنا

نرقص وتناول العشاء ونذهب الى المسارح وذات ليلة...»

وهنا توقفت دورندا وكأنها تتذكر.

«ذات ليلة عدنا من المسرح وأخذني الى المنزل وتناولنا قليلاً من

المرطبات وانتشينا بالسعادة والحب المتبادل وعندما وصلنا الى مسكني

طلبت اليه أن يتناول فنجاناً من القهوة فرفض في باديء الأمر لكنه

دخل في النهاية وأمضي كل الليل».

كانت دورندا تروي قصتها دون أن تنظر الى كارولين ، ولكنها لم

تلبث أن التفتت وحدقت في عينيها قائلة :

«كنا شابين عاشقين وستتزوج. وفي اليوم التالي أخذني واشترى لي هذا

الحاتم. وفي اليوم التالي كان ينوي أن يطير الى افريقيا ثم الى كندا

حيث يمضي ستة أشهر في بعض الأعمال. ثم يعود الى شركته في روما

ومنها الى انكلترا ليأخذني الى ايطاليا لمقابلة أسرته هناك قبل أن

تنزوج. وفي الأسابيع الأولى القليلة كان يكتب لي يومياً. وكنت في

غاية السعادة أشترى قطع الجهاز تدريجياً وانتظر عودته. ومنذ أربعة

أسابيع وأثناء وقوفي في الصباح أمام رينيه ليرسمي أصابتنى اغماء

فصم رينيه على أن يرسلني الى طبيبي. وبعد الكشف علي أخبرني

انني حامل فتحطمت. وفي تلك الليلة كتبت الى فينو واطلعت على

الخبر ومنذ ذلك الحين انقطعت رسائله. انه لا يريد الطفل ولا يريدني.

كل ما كان يريده هو اللهو. والعبث».

كان الألم البادي في عينيها مصدر عذاب لكارولين . انكبت

دورندا بوجهها على ركبتى كارولين كأنها تستسلم لدموعها . سكنت

تماماً واعتقدت كارولين بأن النوم غلبها، الا أنها حركت يدها وبسطتها

فأمسكت بها كارولين وسرت حرارة يدها في أصابعها الباردة .

أستطردت دورندا قائلة :

«هل صدمتك يا كارولين؟»

«اعتقد أنني صدمت باديء الأمر أما وقد أوضحت لي ما حدث وفسرت

شعورك نحوه فقد اتضح الأمر . أنا لست لي خبرة في الحب مثلك

ولكنني اعتقد أن الحب معناه العطاء فكلما زاد حبك زادت رغبتك في

العطاء».

وتنهدت دورندا ونظرت اليها في محبة وقالت:

«انك ملاك يا كارولين . ذات يوم ستجعلين زوجك سعيداً حقاً . وأتمنى

أن يكون جديراً بك».

لكن كارولين لم تعرها أذنأ صاغية فقد كانت تفكر في طريقة يمكن

بها التغلب على هذه المشكلة التي لم يسبق لها ان عاجلت مثلها . يجب

ان تؤمن لأختها كل اسباب الراحة في اثناء فترة الحمل وبعد ان تتم

عملية الولادة.

الطفلين وليس في وسعي أن أصطحبها معي.»

ضحكت كارولين وقالت :

«أنت تعلمين أنه لا داعي للاتصال بي تليفونياً مسبقاً . عليك احضارها الى هنا وأنت في طريقك الى مزرعة براون ، وكم أرغب صحبتها .»

«بارك الله فيك يا ابنتي . كنت على ثقة من انه يمكن الاعتماد عليك . حقاً لا بد أن أعترف بالجميل لأي شخص يرفعى الطفلين المزعجين دون أن يصاب بانهايار عصبي . اذا كان هذا يناسبك سأتي بها خلال نصف ساعة . الى اللقاء .»

عندما انتهت المحادثة التليفونية ظهرت دورندا في أعلى السلم وقالت :

«مع من كنت تتحدثين ؟ سمعت نبرات صوتها من غرفة نومي . هل شب حريق وسبب هياجها ؟»

ضحكت كارولين وقالت :

«انها ليست ناراً واحدة . انها كرتان ملتهبتان من التيار وسوف تنزلان علينا بعد نصف ساعة ، اسرعي وتناول طعام الافطار اذ انك لن تكوني في سلام عند وصولها .»

وبينا كانت دورندا تتناول طعام الفطور شرحت لها كارولين المأزق الذي وقعت فيه صديقتها جين مارتن :

«ان جين تعمل جراحة بيطرية في منطقتنا . وقد بدأت ممارستها لهذا

٢ - لا اريد طفلي !

أمضت كارولين ليلتها التالية تحاول أن تجد حلاً لمشكلة اختها وبطبيعة قلبها المعتادة حملت على منكبيها هم دورندا . لكنها لم تستطع الاهتمام الى حل يسمح لها بأن تبقى في المنزل مع دورندا، وفي الوقت نفسه تكسب نفقات معيشتها .

وأمضت دورندا كذلك ليلة أرقّة .

وعندما أزعجت كارولين ستائر المطبخ غمرت الشمس المكان وشعرت بارتفاع في معنوياتها .

بدأت تدندن أثناء اعداد طعام الفطور لدورندا ولنفسها. وقد جهزت بها صينية لتصعد بها الى الطابق الاعلى .

ودق جرس التليفون . فرفعت الساعة :

«كارولين ؟ الحمد لله أنا أعرف أن لدي جرأة كبيرة لازعاجك بهذه الطريقة ولكن هل يمكنك أن تأخذي الطفلين المزعجين مرة ثانية هذا الصباح . اتصل بي المزارع براون وأخبرني أن أحسن افراسه ستلد ويبدو أنها ولادة عسيرة . ولم تحضر بعد الفتاة البانسة كاريغا لترعى

العمل هنا منذ ثلاث سنوات . وبعد مضايقات كثيرة تحملتها من مزارعي المنطقة أثناء مباشرتها لمهنتها لكونها امرأة استطاعت أخيراً أن تثبت أنها من أحسن الأطباء البيطريين الذين عملوا في هذه الجهات، وقد عرف المزارعون الآن قدرها حتى انهم توسلوا اليها بعد زواجها ألا تترك العمل . ولما كان زوجها ضابطاً بحرياً يذهب في رحلات طويلة في أغلب الوقت ، فقد استمرت في عملها . فلما وضعت التوأمين منذ ثمانية عشر شهراً عانت مشقة كبيرة من استمرارها في العمل . ولكن حب الناس لها جعلها تبادر الى تلبية كل ما يطلب منها المزارعون..»

وفي هذه اللحظة سمعنا باب سيارة يغلق بعنف وصوت اندفاع شديد في ممشي الحديقة والطفلان يناديان «خالتي كارولين ، خالتي كارولين !»

ألقي الطفلان بجسديهما الصغيرين على كارولين وبيتا هي تحتضنها وتقبلها اندفعت أمهما الى المطبخ وبدأت تقول : «أكون سعيدة لو كسرت رقبة تلك الفتاة !»

«لم تقولي لي يا كارولين إن لديك زائرة ، إذن لكنت قدرت الظروف وأعفيتك من عبء هذين الطفلين ..»

وألقت نظرة اعتذار الى دورندا ، لكن دورندا قالت :

«أرجوك يا سيدة مارتين ألا تغيري رأيك بسببي . أنا متأكدة من أنني والتوأمين سنكون في ونام . أضافة الى أنني لست زائرة فأنا أعيش هنا.

وكارولين هي أختي.»

مدت جين يدها وقالت :

«لا بد أنك دورندا . سمعت الكثير عنك من كارولين حتى انني أشعر انني أعرفك من قبل . أرجوك أن تنادينني بأسمي مجرداً جين واذا لم يضايقك ذلك فاني سأناديك دورندا.»

ولما تأكدت الأم من ترحيب كارولين ودورندا بولديها توجهت الى سيارتها وحين همت بركوبها نادى على كارولين قائلة :

«فاني أن اخبرك أن تلك الفتاة الفظيعة التي كانت ترعى الولدين اشتغلت في مصنع الأحذية ولم تهتم بأن تخطرني بذلك . وفي هذا الصباح كتبت لي كلمة وضعتها في صندوق البريد وهي لم تستطع حتى أن تواجهني . سوف أمزقها إرباً عندما أراها.» وانطلقت بسيارتها متذمرة .

قالت دورندا :

«ياهما من طفلين حبيبين أليسا رائعين حقاً ؟»

وافقتها كارولين وهي تضحك ثم التفتت أقرب الطفلين وأجلسته

في حجرها . وخطرت في بالها كلمات جين الأخيرة فقالت :

«ان هذا يعني أن جين تبحث عن شخص يرعى الطفلين بصفة دائمة.»

كفت دورندا عن مداعبة الطفل الآخر وقد انتابها شيء من الدهشة اذ بدت على وجه كارولين انفعالات تتراوح بين الاثارة والابتهاج .

وردت قائلة :

اعتقد ذلك. لكنني أخشى من اغراءات الأجور الكبيرة في مصنع الأحذية في نيوهام ، ان من شأنها أن تقلل من فرص الاهتمام الى من يخدمها . وفي اي حال فان فتيات اليوم يتطلعن الى أعمال أرقى من خدمة المنازل ورعاية الأطفال .»

قالت كارولين وهي منفعلة :

«ألا ترين ؟ يمكنني أن أقوم بهذا العمل ، سبق لي ورعيت هذين الطفلين طويلا وأنا أعلم أنها لن تعترض على ذلك . اضافة الى أنني أحب هذا العمل وأعلم أنها تدفع عن ذلك أجراً كبيراً . يمكنني البقاء معك هنا طوال اليوم واني واثقة من أن جين لن تعترض على احضار الطفلين هنا بدلا من أن أذهب الى بيتها . في ظني ان تعتقن ذلك ؟»
«لا أسمح لك بأن تكرسي حياتك للأعمال المنزلية وأنت في سنك المبكر هذه . يجب أن تنطلقي الى العالم مع من هم في سنك وترددي على الحفلات الراقصة وتلتقي بالشبان .أما أنا فقدت حدة عن الطريق الصحيح ولا أنوي أن أجعلك تعانين بسبب أخطائي .

وضعت دورندا يدها على كتف كارولين ووضعت قبلة على جبينها وكأنها تنهي المناقشة . وقالت :

«سأدير الأمر بطريقة ما ..»

لكنها كانت مخبطة فللمناقشة لم تنته . لم يكن عند كارولين اية نية للتنازل بسهولة عن فكرتها . ولم يكن لديها ميل لأي عمل

اقترحته أختها. ذهلت دورندا من تصلب رأيها الذي جابهتها به . وبعد ساعات من الجدل رفضت كارولين فكرة دورندا بأنها في حاجة الى مقابلة الشبان وقضاء وقت من الترويح عن النفس وما الى ذلك . وأخيراً ، وبعد هجوم جديد من كارولين استسلمت وقالت :

«حسناً . حسناً . فزت يا كارولين اذا كنت تقدرين تماماً ماتقولين . لقد استسلمت.»

توجهت كارولين الى مقعد دورندا وجثت في قريبا وقالت :
«يجب أن تعترف بأنه حل رائع . بالنسبة الى الحب واللهو فأنت تعلمين جيدا انني كنت دائماً سعيدة بالبقاء في المنزل مع والدي ولم أقابل أبداً رجلاً راقني .»

ثم استطردت بصراحة قائلة :

«أعتقد أنني فتاة عانس بطبيعتي .»

ابتسمت دورندا وأخذت تتخيل كارولين بعد خمسين عاماً وهي عانس وفي بيت في الريف تحيط بها القطة . شعرت دورندا بحب يجيش في قلبها نحو كارولين وبشيء من الحجل عندما تصورت لو أن الأوضاع انعكست . هل كانت تضحي بنفسها وباخلاص في سبيل كارولين مثلما فعلت . وكادت الدموع تسقط من عينيها . ثم وقفت ووضعت يديها على كتفي كارولين وقالت لها :

«أتمنى أن أرد لك وفاءك نحوي في يوم من الأيام . ليس لأحد أخت أروع منك .»

«هيا لتناول بعض الطعام . انني جائعة .»

كانت الأشهر التالية سبباً في تغير دورندا تغيراً شديداً اذ تحول قوامها النحيل المسنوق الى قوام كروي لامرأة تبدو من الوجهة الاولى في حالة جل . ولم تضع أي خطة أو ترتيبات للقدم مولودها.

كانت كارولين تصنع ملابس تريكو صغيرة وجوارب وقضازات للمولود الانني .

اما دورندا فكانت تبدو عليها الكآبة مما جعل كارولين في قلق . قصصت على استدعاء الدكتور توماس طبيب العائلة لاجراء فحص عام لاختها وجاء التقرير صريحاً :

«من الناحية البدنية صحتها كالحصان ، لكنني قلق على حالتها النفسية . أين زوجها؟»

ارتبك كارولين . لا تستطيع ان تفشي سر دورندا التي وثقت بها فراوغته قائلة :

«في عمل في الخارج .»

«أن الأوان لتكتبوا اليه ان يعود ويرعى زوجته . انها تتألم بسبب غيابه عنها وهذا هو مصدر ازعاجها . انها تتألم . اذا لم يحضر عاجلاً فلن أكون مسؤولاً عن العواقب .»

ثم حمل حقيبتها وانصرف . وعندما هم بدخول السيارة قال :

«سأزوركم في الاسبوع القادم . سأطلب من نورا ماسون أن تزوركم أثناء عيادتها لمرضها . في مصلحة أختك أن تتعرف على القابلة قبل

موعد الولادة ، اذ ستجعلها تقوم ببعض التمرينات الرياضية ، وتجري لها بعض الفحوص العامة .»

كانت كآبة دورندا وعدم ميالاتها وتكرار تنهداتها أثناء نومها ليلاً نتيجة تصرفات فيتو فيكاري الحسيسة . دورندا مازالت تحبه برغم أن سلوكه لم يكن مهذباً .

صعدت كارولين الى غرفة دورندا حيث كانت مستلقية على فراشها فائرة الهمة وقد عزمت على أن تحاول ملاطفة دورندا مرة أخرى وجعلها تكتب رسالة اخرى الى حبيبها .

«ما رأيك لو بعثت برسالة اخرى الى حبيبك ؟ ربما حدث شيء لرسالتك الاولى . اذ فالرجل يطوف حول العالم والله وحده يعلم ما يمكن أن يكون قد حدث له . وليس من العدل أن تحكمي عليه من رسالة واحدة ربما لم يتسلمها .»

ولاحظت أن هناك شيئاً من الاهتمام بدأ على وجه أختها دورندا فقالت :

«لماذا لا تكتبين . ربما كان مريضاً في المستشفى أو وقع له حادث .» وبدأت نظرة ذعر على وجه دورندا مما أعطى كارولين أملاً جديداً وصدق حدثها . فقد لجأت دورندا اليها وهي حزينة وقالت :

«هل تعتقدين حقاً أنه ربما يكون طريق فراش المريض في جهة ما من دون ان تكون هناك وجود وسيلة للاتصال به؟ أه أتمنى ألا يكون مريضاً . او ان يكون وقع له أي حادث . في أي حال سيبحث عنه

ابن عمه اذا ما حدث له ذلك .
سألت كارولين :

«ابن عمه ؟ انني لم أسمعك تذكرين ابن عمه . هل قابلته؟»
لا لم أقابله . كارولين هل تظنين أن حادثاً وقع لفيثو ؟ يجب أن أعرف . فلعله يرقد مريضاً في مكان ما . بل لعله مات!»

شحب لون وجه دورندا وتولاها الذعر وطلبت من كارولين أن تأتي لها بحقيبة الرسائل من فوق منضدة التزين .

ولم تلبث أن استغرقت في كتابة الرسالة وهبطت كارولين السلم بخطوات مرحة راضية عن نفسها وبدأ لها ان دورندا ستتغلب على الكتابة وتعيش حياتها مرة أخرى .

بعد ما بعثت بالرسالة ، كانت دورندا انسانة مختلفة تماماً عما كانت عليه . كانت تبدو وكأنها تتشبث بالتعليل الذي ساقته كارولين لعدم وصول رد فيثو على خطابها ، تماماً كما يتعلق الغريق بقشة .

تحدثت كثيراً عن جنيتها وقالت إنها ستطلق عليه اسم قيمتو نسبة الى والده . وطلبت شراء عربة أطفال وسريراً خفيفاً من النوع الذي يمكن نقله وفكرت جدياً في شراء دمية ، دب صغير وكانت امارات القلق تبدو واضحة عليها كلها وجهت سؤالها المتلطف الى كارولين كل صباح :

«هل في بريد اليوم رسالة لي ياكارولين؟»

ولم تذكر اسم قيمتو ولوحتى مرة واحدة بعد أن بعثت اليه بالرسالة.

وكان الخوف يعتصر قلب كارولين كلما اقتربت نهاية الأسابيع الخمسة دون وصول الرد.

بعد انقضاء سبعة أسابيع عادت دورندا الى كابيتها وأخذت تكي بحرق كل ليلة حتى اعتقدت كارولين انها ستموت من التعاسة . ولامت نفسها قائلة :

«هذا كله بسببي . كان علي أن ادع الامور كما هي لعلها استطاعت أن تغلب عليها . ولكنني كنت على يقين من أن لسكوته سبباً لأن دورندا لا يمكن أن يكون تقديرها قد ساء الى هذا الحد بالنسبة الى الرجل الذي أحبه . انني أبغضه لأنه تسبب في تعاستها ولن أغفر له ذلك أبداً»

وغمرتها الحسرة . وخيل اليها أن شخصاً ما يناديها فرفعت رأسها ، وبعد لحظة ترقب سمعت نداء دورندا لها :

«كارولين ، كارولين ا.»

انطلقت بسرعة الى غرفة دورندا . كان الليل في بدايته ورأتها تعصر خصرتها من شدة الألم . ولم تكذب توى كارولين حتى طشت قائلة :

«أسعفيني بطبيب لأنني اعتقد انني سأضع»

اندفعت الى الطابق الأرضي حيث التليفون واتصلت بالطبيب ، الذي ما لبث ان حضر ومعه نورا ماسون .

كانت كارولين جالسة في جوار دورندا تمسح العرق المتصبب على

وجيها الشاحب وهي ممسكة في الوقت نفسه بيدها المرتعشة تلاتها
قائلة:

«لا تخافي يا عزيزتي سأظل معك وسينتهي كل شيء على خير»
«لست حريصة على الطفل . ألا تريد أن أموت . فلم يعد لدي
ما أعيش من أجله .»

«لا أظن أنك تعنين ما تقولين . ؟ وماذا عن الطفل ؟»

«ربما مات هو الآخر . فالأمر بكل بساطة هو أنني لا أياي شيء يا
كارولين وسيكون ذلك أفضل . تطنين أنني لم لاحظ ما حل بك
بسببي ولكن هذا غير صحيح . حاولت أن تكوني مريحة وسعيدة من
أجلي بينما كنت طوال الوقت قلقة حتى الموت . وأستطيع أنؤكد
بأنك كنت تبكين أيضا .»

دخل الطبيب و نورا ماسون غرفة النوم وخاطب الطبيب دورندا
بحزم قائلا :

«لو سمحت يا سيدتي . كفى بكاء والا وضعت طفلا لا ينقطع عن
البكاء ويزعجك طوال الليل بنوبات غضبه . أخرجي يا كارولين . أنا
ونورا نستطيع أن ندير الأمر وسندعوك عند الحاجة .»

وفجأة انطلق صوت مدو تبعه خروج المولود . فانطلقت كارولين
تعدو بسرعة الى الطابق الاعلى فلما بلغت باب غرفة النوم كانت نورا
تطل برأسها من خلاله . وعلى وجهها ابتسامة عريضة وهي تقول :
«انه ولد له عيان سوداوان جميلان . وله خصلات من الشعر الأسود.»

وبعد خمس دقائق كانت كارولين تحديق في ابن أختها . ثم قالت
لدورندا :

«أليس هذا أجمل مخلوق رأيته في حياتك ؟»

دعا الطبيب كارولين الى الخروج من الغرفة وسألها وهو متجههم:
«هل استدعيت والد الطفل ؟»

ارتبكت كارولين وهي مازالت مترعجة من عدم اكتراث دورندا
وابتلعت ريقها قبل أن تجيب :

«نعم لكن تعذر عليه الحضور .»

رماها الطبيب بنظرة حادة وقال :

«تصرفات دورندا لا تعجبني . ليس في وسعك التأثير على زوجها
العابث الملعون ؟ فهي في حاجة اليه .»

لم تجب كارولين بل هزت رأسها . فقال الطبيب متعاطفا معها :
«لا تقلقي كثيراً يا ابنتي . لقد تحملت ما هو فوق طاقتك وقد حان
الوقت لتزوجي شاباً يحل عنك هذا القلق .»

صادفت كارولين في الأيام التالية مشقة بالغة فقد كان عليها أن
تواصل العمل في غسل ملابس الطفل واعداد رضعاته واعداد
مشروبات ساخنة وألوان من الطعام مغرية لدورندا . ولم تكن
تتناول من الطعام الا القليل لثوهم دورندا بأنها تناولت وجبة كاملة
وتشيع في نفسها الرضي . أما فينو الصغير فكان يبكي بلا انقطاع .
كما تنيا له الطبيب . ومضت أربعة أيام حسبتها كارولين شهراً ولم

ابن عمه اذا ما حدث له ذلك .
سألت كارولين :

«ابن عمه ؟ انني لم أسمعك تذكرين ابن عمه . هل قابلته؟»
لا لم أقابله . كارولين هل تظنين أن حادثاً وقع لفيثو ؟ يجب أن أعرف . فلعله يرقد مريضاً في مكان ما . بل لعله مات!»

شحب لون وجه دورندا وتولاهها الذعر وطلبت من كارولين أن تأتي لها بحقيبة الرسائل من فوق منضدة التزين .

ولم تلبث أن استغرقت في كتابة الرسالة وهبطت كارولين السلم بخطوات مرحة راضية عن نفسها وبدأ لها ان دورندا ستطلب على الكتابة وتعيش حياتها مرة أخرى .

بعد ما بعثت بالرسالة ، كانت دورندا انسانة مختلفة تماماً عما كانت عليه . كانت تبدو وكأنها تتشبث بالتعليل الذي ساقته كارولين لعدم وصول رد فيثو على خطابها ، تماماً كما يتعلق الغريق بقشة .

تحدثت كثيراً عن جثينها وقالت إنها ستطلق عليه اسم فيثو نسبة الى والده . وطلبت شراء عربة أطفال وسريراً خفيفاً من النوع الذي يمكن نقله وفكرت جدياً في شراء دمية . دب صغير وكانت امارات القلق تبدو واضحة عليها كلها وجهت سؤالها المتلهف الى كارولين كل صباح :

«هل في بريد اليوم رسالة لي ياكارولين؟»

ولم تذكر اسم فيثو ولو حتى مرة واحدة بعد أن بعثت اليه بالرسالة.

وكان الخوف يعتصر قلب كارولين كلما اقتربت نهاية الأسابيع الخمسة دون وصول الرد.

بعد انقضاء سبعة أسابيع عادت دورندا الى كاتبها وأخذت تكي بحرق كل ليلة حتى اعتقدت كارولين انها ستحوت من التعاسة . ولامت نفسها قائلة :

«هذا كله بسببي . كان علي أن ادع الامور كما هي لعلها استطاعت أن تغلب عليها . ولكني كنت على يقين من أن لسكونه سبباً لأن دورندا لا يمكن أن يكون تقديرها قد ساء الى هذا الحد بالنسبة الى الرجل الذي أحبته . انني أبغضه لأنه تسبب في تعاستها ولن أغفر له ذلك أبداً»

وبعثرها الحسرة . وخيل اليها أن شخصاً ما يناديها قرفعت رأسها ، وبعد لحظة ترقب سمعت نداء دورندا لها :

«كارولين ، كارولين .»

انطلقت بسرعة الى غرفة دورندا . كان الليل في بدايته ورأتها تعصر خصرها من شدة الألم . ولم تكده ترى كارولين حتى طبت قائلة :

«أسعفيني بطبيب لأنني اعتقد انني سأضع»

اندفعت الى الطابق الأرضي حيث التليفون واتصلت بالطبيب ، الذي ما لبث ان حضر ومعه نورا ماسون .

كانت كارولين جالسة في جوار دورندا تمسح العرق المتصبب على

تعد دورندا طفلها أي اهتمام بل هي امتنعت عن أرضاعه أو احتضانه . وحاول الدكتور توماس أن يطمئن كارولين لكن القلق ظهر عليه عندما قال لها :

«تركيبها هنيئة لتستجمع قواها فخرجها لن يبقى إلى الأبد . هذه صدمة عاطفية جعلتها تباعد عن العالم . وأنا واثق من أنها ستعود إلى طبيعتها بمجرد وصول هذا الزوج .»
واستعادت وعيها على صوت بكاء الطفل فبادرت الطبيب قائلة :
«إلى اللقاء»

دون أن ترد على سؤاله . وأسرعت إلى فيثو الصغير ، فهو لا يبكي الآن إلا إذا جاع . عكس الأيام الأربعة الأولى التي كان صراخه فيها يعلو حتى يزرقي وجهه . وكانت ثورا ماسون ترى أن هذا مجرد انفعال ، لكن كارولين كانت تعتقد أن الطفل لما يصرخ لحاجته إلى حنان أمه الذي حرم منه .
وتساءلت للمرة الأولى :

«كيف تستطيع دورندا مقاومة حبه ؟ أنها لو حملته مرة واحدة لما عادت تستطيع الابتعاد عنه .»

في اليوم التالي حملت كارولين الطفل إلى أمه وهي راغبة في فرائشها . وكانت تنظر إلى النافذة في كآبة وفي جراءة دفعت بالطفل الملفوف إلى أحضان أمه متوسلة إليها :

«أرجو أن تحمليه لحظة يادورندا ريشما أختير درجة حرارة المياه»

«لا ، لا أبعديه عني . انني أرفض أن تكون لي أي علاقة به .»
ثم ألقت بنفسها واستسلمت إلى البكاء . فانتزعت كارولين الطفل منها بسرعة وضمته إلى صدرها ونزلت به إلى الطابق الأسفل بعيداً عن نظر الأم . وهمست له وهي تنظر إليه منهارة :
«أه يا حبيبي . كيف يمكننا أن نساعد أمك ؟»

ومرت بيدها يرفق على وجهه الناعمة الملمس . وهمست له وكأنها تأخذ على نفسها عهداً :
«سأرعاك يا حبي الصغير . وإذا كان لابد من أن أكرس حياتي لك . فسأفعل ذلك . سأكون لك دانياً»

وكفت دورندا عن البكاء ، إلا أنها عادت إلى التحديق عبر النافذة إلى الأفق ، ولما دخلت كارولين غرفة النوم حاملة صينية الفطور ، فخرجت دورندا بالرفقة وبدأ عليها شيء من الحجل . فأخذت كارولين تثرثر معها مغتبطة وهي تتأهب لوضع الصينية على الفراش وكان لم يبد من ناحيتها شيء مزعج . بل لقد حاولت أن تعتذر :

«أنا أسفة يا كارولين . كنت في ثورة غضب . لا بد أنك ملتفتي . سأهبط بعد تناول الفطور إلى الطابق الأسفل وأساعدك في الأعمال المنزلية والطهي وأعمل كل ما تريد منه مني . ولكن أرجو ألا تطلب مني العناية بالطفل .»

«حسنًا لا تفكري في العناية بفيثو الآن يادورندا . حسبك أن تهتمي باسترداد صحتك . سيكون الدكتور توماس سعيداً بأن يراك تحاولين

النزول الى الطابق الاسفل . قال أمس إن خير ما أفعله هو أن أشجعك على ارتداء ملابسك وعلى القيام بشيء من الحركة .
وأضافت بلهجة التحذير :

« لكن أبالك أن تقومي بأي عمل من الأعمال المنزلية . حسبك الآن أن تجلسي على مقعد في الحديقة وتستقيدي من أشعة الشمس . »

كانت دورندا مسترخية في مقعد مريح في الحديقة وفي يدها كتاب اعطته اياها كارولين على أمل أن يحفزها الى الاهتمام بالأزياء الطريفة وأحدث الاتجاهات الحالية للموضة في لندن وأوساطها الراقية .

مر موزع البريد وهو بصقر ثم وضع شيئاً ما في صندوق البريد وبحركة تلقائية أدارت دورندا رأسها بينما اتجهت كارولين ببطله الى الصندوق لتلتقط منها رسالة .

كان وجه دورندا يعلوه شحوب واضح وهي تتسلم الرسالة وردت على التساؤل المكتوم لكارولين بهزة رأس بطيئة وشعور بالكآبة :
« انها من رينيه . ترى ما الذي يريد ؟ »

كانت خيبة أمل كارولين كبيرة . كانت تتمنى أن تكون الرسالة من فيتو فيكاري . ثم دخلت الى البيت وتركت الرسالة لأختها تطالعها .

وبمرور الأيام ، أحسّت شيء من الألم لأن دورندا لم تشأ الاقضاء اليها بمضمون الرسالة . لكنها كانت تعزّي نفسها . فكل يوم يمر بعيد الى وجه دورندا لونه الطبيعي يرغم من أنها ظلت قبل الى الصمت .

استمرت جين في احضار التوأمين . وعندما تأملت كارولين الساعة تبين لها أنهم تأخروا عن موعد وصولهم حوالى نصف ساعة . فقطبت جبينها قلقاً وتساءلت ماذا حدث لهم ولم تكده تسمع صوت السيارة تقف أمام المنزل حتى زایلها القلق وانطلق الطفلان يدفعان الباب متجهين الى كارولين ، ولحقت بهما والدتهما . كانت جين شديدة الانفعال . ابتسمت كارولين ودعتها الى الجلوس .

قالت جين :

« واصلتني اخبار حسنة سيترك جيم عمله في البحر ويلتحق بعمل هنا . كتب لنا يقول انه لم يعد قادراً على تحمل الفراق ويوم الجمعة القادم ستقابله في سوٲ هامتن ثم نذهب لبحث عن مسكن ونظل في الفندق حتى يقوم هو بكل الترتيبات اللازمة . أه يا كارولين ليس في وسعي أن أحصف لك كم أنا سعيدة . »

وسألت كارولين :

« وما مصير عبادتك عندما ترحلين يا جين ؟ »

« هذه ضربة حظ أخرى . أتعرفين أن مزارع والد الشاب كولن غرانت تقع على بعد خمسة أميال من هنا ؟ تخرج ابنه أخيراً من المدرسة البيطرية وهو يبحث عن عيادة في مكان قريب من هنا . وقد سألتني والده من أيام ان كنت أرغب في بيع العيادة ، فاستمهلته حتى أفكر في الأمر . وقد قررت ان اوافق . »

ومضت بسيارتها وهي تلوح لكارولين مبتسمة .

كانت دورندا في الحديقة عندما كانت جين تتحدث الى كارولين .
روت لها كارولين ما اطلعتها عليه جين فقرحت هذه الأخبار لكنها
اضطربت فجأة وقالت :

« لكن كيف تدبر امورنا بعد ما تتوقف جين عن طلب مساعدتك .
« لا تقلقي . سندبر أمرنا وفي أي حال فان الأشهر القادمة ستكون أشهر
خير لنا فالحديقة عامرة بالخضر وأشجار الفاكهة لن تلبث أن تنضج
لهاها . لن نجوع يا عزيزتي . »

لكن دورندا لم تفتح وعضت على أسنانها في قلق ، ثم قالت :
« سيكون على إحدانا أن يجهد عملاً . »

وحدثت في عربة الطفل الواقفة في ظل شجرة في أقصى الحديقة .
ثم أشارت بأصبعها اليها قائلة :

« هذا يعني أنني ساقى معه لو ذهبت أنت الى العمل . »

لو لم تكن كارولين تعرف أن تصرف اختها سيبه حالتها العصبية
لعملت الى توبيخها لاهمالها لطفلها . أما وهذا واقع الحال فقد
وضعت نصب عينيها تعليقات الطبيب توماس الذي قال لها :

« ان الزمن كليل بعلاج كل شيء . قد يصعب عليك تصديق ذلك
ياكارولين ولكن متى بلغت سني أدركت صحة هذا القول . »

قالت كارولين :

« ليس لدي نية في تركها . »

سرعان ما بدأت جين والطفلان رحلة الذهاب الى موطنهم الجديد

فقد تم كل شيء حسب الخطة بالنسبة للعبادة وبيع المنزل والأثاث ،
وأخيراً جاء يوم الوداع . وصممت كارولين على أن تذهب الى محطة
السكة الحديد لتكون في وداعهم . وفي الليلة السابقة لرحيلهم اتفقت
مع دورندا على أنها ستضئ الجزء الأكبر من الصباح بعد توديعهم في
شراء بعض الأشياء الضرورية وفي زيارة احدى صديقاتها التي
أهلتها ، ووافقت دورندا على هذه الخطة بنفس راضية وقالت لها - وهو
أمر لم يكن متوقعاً منها . ان لا ضرورة لأستعجال أعيالها في المدينة
أو للاسراع بالعودة ، لأنها ستجد في العزلة بعض السعادة .

كان الرصيف الذي يقف فيه قطار جين مزدحماً فأسرعت كارولين
تتقدم الى الأمام .

ودعت كارولين الطفلين بنظرة مكتئبة وانتظرت في مكانها حتى
اختفت آخر عربات القطار .

اشترت حاجاتها ولم تتوقف لشاهد الأرياء الصيفية .

كانت قد اتصلت تليفونياً بصديقتها الين سوتدرو واتفقتا على أن
تذهب اليها في أقرب فرصة . وكانت تقيم مع زوجها جيم في منزل
شبه منعزل في أطراف المدينة .

وأسرعت الين الى باب الحديقة تفتحه لكارولين التي كانت تحاول
أن تدفع عربة الطفل أمامها .

تناولت الفتاتان الغداء وثرثرتا ما فيه الكفاية . لقد مر الوقت
سريعاً .

شعرت كارولين بأن الوقت حان لرحيلها . ولكن جيم أصر على توصيلها الى منزلها بسيارته . وعندما ألحت اليه في البقاء استجاب لطلبها وبعد العشاء أصرت كارولين على الانصراف .

ثم لوحت بيدها لصديقتها وجلست في المقعد الأمامي بعد أن وضعت فيفو في المقعد الخلفي .

استبدت الحيرة بكارولين عندما وصلوا الى المنزل ورأته مظلماً . وفي يادى الأمر عقلت ذلك بأن دورندا لا بد أن تكون في الخارج ، لكنها سرعان ما تذكرت أن ذلك غير مقبول . دخلت المنزل . وناوت بصوت مرتجف :

«دورندا أين أنت ؟»

ولم تسمع جواباً فأعادت النداء :

«دورندا هل أنت هنا ؟»

كان المنزل ساكناً . وضعت كارولين فيفو على مقعد في غرفة الجلوس ثم صعدت الى الطابق الاعلى لتستوضح الأمر . فلعل دورندا أحست باعياء وذهبت لتنام . لكن غرفة النوم كانت خاوية . أخذت الهواجس والوساوس تنتابها .

أسرعت الى الطابق الاسفل ودخلت المطبخ حيث وجدت كل شيء مرتباً . كان واضحاً أن دورندا نظفت كل شيء وغسلت الاطباق لكنها وجدت الطعام الذي تركته لدورندا في مكانه .

ثم رأت رسالة على الطاولة فهرعت تنفضها وقرأت :

«عزيزتي كارولين .

لا أدري اذا كنت ستسامحينني على ما صممت أن افعله لكنني قررت . سأرحل واعتقد ان هذا هو الصحيح . الرسالة التي تسلمتها من رينيه يعرض علي فيها عملاً جديداً معه يقتضي سفري كمندوبة الى بلاد كثيرة . وفي اعتقادي انني لو وافقت فستتاح لي فرصة لكي أرى أو أسمع أخباراً عن فيفو . اذا قابلتها واكد انه لم يعد راعياً في فسأعود . لا تحاولي العثور علي فلن أعود قبل أن أجد . لا أستطيع اعطاءك عنواناً لأنني سأنتقل من مكان الى آخر أسبوعياً لكنني سأرسل لك نفوداً على قدر استطاعتي .»

مع كل حبي

أختك المعترفة بجميلك

دورندا

كان طويلاً وذو وجه متعجرف وكانت السخرية بادية في صوته وهو يتحدث .

«هل انت الأنسة لندسي ؟»

«نعم ، ماذا تريد ؟»

«هل هناك مكان يمكننا التحدث فيه يا أنسة لندسي ؟»

«لماذا لا نتحدث هنا ؟»

أخرج حافظة من جيبه الداخلي واستخرج منها بطاقة أعطاها الى كارولين دون أن يتكلم .

ونظرت الى البطاقة ثم شهقت في دهشة حينما ظهر الاسم أمامها فجأة كان اسمه دومتيكوفيكاري .

تورد وجهها وهي تعيد اليه البطاقة ثم قالت له :

«تفضل معي الى البيت .»

طلبت اليه أن يجلس ريثما تعذ له فتجأناً من الشاي . إنه من أفراد عائلة فيكاري التي ينتمي اليها . وعندما عادت كان ينظر حوله باهتمام بالغ ثم قال :

«أرى أنك تملكين تماثيل جميلة يا أنسة لندسي . اضافة الى بعض الصور الرائعة . أهى هدايا من المعجبين ؟»

فوجئت كارولين بهذا الاسلوب الذي يعتمد في مخاطبتها . لعله يظنها دورندا . كان من الواضح أنه أعد نفسه لمقابلة فتاة متحجرة القلب تسعى وراء المال أو ترغب في قضاء وقت ممتع .

٣ - الزائر !

بدأ النهار جميلاً وقد أشرقت الشمس منذ الصباح الباكر حتى اذا اقترب المساء فقد الجو حرارته . وانبعث العطر من الجوانب المزهرة حيث استلقت كارولين على وجهها في الحديقة تحت شجرتها المفضلة . وأخذ فيتر الطفل العنيد البالغ من العمر ستة أشهر تقريبا يتسلى ظهرها محاولاً أن يمسك بشعرها . وكانت كارولين تضحك وهي تراوغه وتنازحه لتمنعه كلياً من يده نحو شعرها .

لم تسمع كارولين صوت السيارة المأدور عند وقفها أمام باب المنزل ، ولم تنتبه الى الرجل الذي أخذ يراقبها بعينين حادتين .

كان انتباهه مركزاً على كارولين وطافت عيناه يخصصاتها الذهبية الخالصة ووجهها الجميل الجذاب . ثم ألقي نظرة خاطفة على عينيها الملونتين بلون زهرة البانسيه وهي تتقلب محاولة تفادي قبضات الطفل . خطا الرجل الى حيث كانت كارولين فرفعت بصرها سريعاً واذا بها تفاجأ بوجوده ، فنهضت جالسة على الحشيش الأخضر وحدقت فاعرة الفم في هذا الغريب الأسمر الوسيم الذي وقف يرمقها :

تذكرت كارولين فجأة أن دورندا ذكرت لها أن هناك ابن عم لفيثو يدعى دومنيكو وتمت لو استطاعت أن تسيء إليه كما أساء فيثو إلى اختها. وردت بعدوبة مصطنعة :

« ربما . فعل الفتاة أن تنظر إلى المستقبل يا سيد فيكاري وهل ثمة ما هو أفضل من استثمار المال في الأعمال الفنية ؟ »

ومعها بنظرة قاسية ، ثم أومأ إليها أن تجلس . وقال :

« ما مدى معرفتك بفيثو يا أنسة لندسي ؟ »

كادت كارولين أن تجيب بأنها لم تعرفه ، ولا تريد أن تعرفه لكنها تذكرت فجأة ما قاله في ازدهاء عن أعمالها الفنية كما أنها كانت قد قررت أن تتحمل شخصية دورندا محاولة بذلك أن تعاقبه على موقفه .

« اعتقد أنني عرفت إلى المدى الذي تعرف فيه كل أم أبا لطفلها هذه الأيام . لكونا كثيراً . وتعتت بهذه العلاقة ولكنه هجرني مع الأسف وأنا أمهل طفلاً . أما فيثو العزيز فهو حارطليق بينما يحاول ابن عمه أن يصلح ما أفسده وهو يلهو . أعتقد أن هذا هو مقصدك من هذه الزيارة يا سيد فيكاري ؟ فمقصودك هو أن تعزي أم الطفل . ترى كم مرة اضطرت إلى القيام بهذا العمل الممل ؟ وهل يروقك ذلك ؟ »

لم تكن كارولين مهية لليد التي امتدت ناحيتها وقبضت على معصمها وغرست أصابعها الفولاذية في جلدها الناعم . كان صوته بارداً كالثلج :

« مات فيثو يا أنسة لندسي . عندما سقطت الطائرة التي كان يستقلها

ليصل إليك بسرعة . لو أنه انتظر ليجد مكاناً في إحدى الرحلات الدائمة لكان حياً الآن . لقد كان حبه لك أقوى من أن ينتظر ساعات قليلة ليصل إليك . وقد شككت فرقة للبحث عن الطائرة بناء على رغبة زوجة القائد فوجدت الطائرة حطاماً على بعد أميال من المدينة ولا أثر للحياة فيها . »

أظلمت عينا كارولين . ثم رفعت عينيها إليه قائلة :

« أرجوك قل إن ذلك غير صحيح يجب ألا يكون صحيحاً . ماذا سيكون مصير الطفل ؟ كيف أدبي مين لفيثو ووالته بأكثر مما يمكنني أن أرقه لها . أرجو أن توافقيني على الخطة التي وضعت . »

نظرت إليه في ارتباك ثم تساءلت :

« خطة ؟ »

« انني أرى أن أسهل حل للمشكلة هو أن نتزوج . »

وقبل أن ينطق بكلمة أخرى هبت كارولين واقفة وقالت بصوت

صارخ :

« هل فقدت عقلك أتزوجك ؟ أفضل أن أموت . »

« بزواجنا نكفل للطفل تشنة تنفق ومنزلة أبيه الاجتماعية وسيكون مستقبله مشرقاً . »

ثم نظر بطرف عينيها إلى كارولين وأضاف :

« وعندما يبلغ سن الرشد يصبح تلقائياً شريكاً في واحدة من أعظم شركات الاستيراد والتصدير في إيطاليا بل يمكنني في الواقع أن أقول

من أكبر الشركات في العالم . يضاف الى ذلك انه سيرث مبلغا من المال سأودعه باسمه حالما تتزوج . أتعلمينه من ميراثه لمجرد كونك محسين نحوي بشيء من الكراهية .»

خيمت فترة من السكون غرقت فيها كارولين في خضم من الأفكار بينما كان الرجل يتأملها متفحصاً أجزاء جسمها .

استعادت كارولين رباطة جأشها وقالت :

«يا سيد فيكاري . لا يخامرني شك في أنك صادق النية في مساعدتنا أو في أنك قادر على مدنا بأكثر مما نطمح اليه لكن شعوري هو أنني يجب أن أرفض عرضك لأنني أشعر بأنني لن أنسجم معك ثم أنني عندما أريد ان اتزوج فأنني سأختار رجلا احبه وليست لدي أي رغبة في الاقتران برصيد في بنك أرجو أن تذهب الآن . لقد كانت مقابلتك تجربة بالنسبة الي .»

سارت نحو الباب وأمسكت بمصراعها مفتوحاً وانتظرتة ليخرج .

وفوجئت به ينهض ليفعل ما أمرته به . وعرتها دهشة جعلتها تنف

فاغرة الفم عندما رآته يتوقف لينحنى لها وليقول :

«أشعر أن لدينا الكثير مما يجب مناقشته يا أنسة لندسي لكنني اتوقع إتصالا هاتفياً بعد أقل من نصف ساعة في الفندق ولذلك سأذهب الى هناك وبعد العشاء سأعود لأراكها ولأستكمل الحديث عن خططنا المستقبلية .»

ثم نظر اليها وقال :

«وفي هذه الاثناء سيكون لديك وقت كاف لدروس اقتراحي في تمن . وروية في ضوء مستقبلك ومستقبل الطفل .»

كل هذه النصة لم تستغرق أكثر من نصف ساعة . ومع ذلك شعرت كارولين بأنها عاشت حياة بأكملها . ومرت بسلسلة كاملة من الأحاسيس . فلم تقابل في حياتها رجلا مثله استطاع بقوة شخصيته أن يتعبها ثم يتركها وكأنها دمية ممزقة . انجذبت الى الغرفة وجلست بجهد في الأريكة التي أخلاها . دومنيكو فيكاري منذ لحظات .

بقيت كلماته الاخيرة ترن في أذنيها . هل من حقها أن تنكر على فيترا ما سيرته من عائلة فيكاري ؟ عشت على شفتيها وتفجرت فيها المرارة التي طلما قاومتها وهي تتذكر تصرفات دورندا المجردة من كل عاطفة . ومع أن كارولين حاولت أن تلمس الأعداء لأختها إلا أنها كانت تحس بالآسى كلما تذكرتها .

كانت كارولين مضطربة وقلقة صباح اليوم الذي زارها فيه السيد ولكنز وكيل اعمال ابيها . كان قد اتصل بها طالباً منها التوجه الى مكتبه بأسرع ما يمكن لينقل اليها ما عنده من أخبار فلما وقف على الصعوبات التي تصادفها في التنقل وسط المدينة هي والطفل عرض عليها أن يحضر في اليوم التالي .

قال ولكنز :

«تطور الأمر بطريقة الصدفة يا أنسة لندسي . لعلك تذكرين أنني أشرت الى أسهم مملوكة للمرحوم أبيك . وانه ليمعندي إبلاغك أن

عندي عروضاً ممتازة من زبائن يريدون شراءها . فالشركة التي استثمر فيها المرحوم والدك ماله ، فاجأت الجمهور بسلعة مرغوبة وها هي أسعار الأسهم تفتز الآن في سوق الأوراق المالية . ومع الوقت ، أعتقد أن في وسعي القول باطمئنان الى أنك ستحصلين على دخل جيد من استثمارك .»

وكان قد فرك كفيه في سعادة وهو يثنأ لها بحظ سعيد . ولكن سعادته انقلبت إلى صدمة وذ هول عندما أصرت على بيع الأسهم فوراً بدلا من إبقائها في الشركة . ونسكت برأيها ، فاستجاب على كره منه . لقد جنبها هذا المال غير المتوقع بيع مقتنيات أبيها الثمينة . التفتت الى الساعة وأدركت أن الوقت حان لحيام فيتو .

كان الطفل يترنم بصوت عال وينثر الماء على كارولين عندما عاد دومنيكو فيكاري .

سمع صوت ضحكها منبعاً من الحمام وبخطوات واسعة ارتقى السلم ودخل عليها . وكانت كارولين إذاك ترفع فيتو من الحوض . وللمرة الأولى بدا منه أنه لا حظ فيتو ، وارتسمت على وجهه ابتسامة صبيانية غير متوقعة وهو ينظر اليها بينما كانت تحاول أن تحفّف الطفل .

رفع الطفل وقال :

«دعيني أتولى الامر ، فقد حان الوقت لاجعله يألفني»

ثم رمقها بطرف عينه وقال :

«أما أنت ، فسأسعى الى تحسين علاقتي بك فيما بعد .»
ارتبكت كارولين وشعرت بالحيرة تغضّب خديها بينما طفقت عيناه الجريتان تتفحصانها . وأخذ كرهها له يزداد .

في هذه اللحظة انزلت المشقة عن كتفي الطفل وأشار دومنيكو مندهشاً الى شامة على هيئة قلب بادية على جلد كتف الطفل الوردى وسألها :

«هل ولد بهذه الشامة ؟»

«نعم لماذا ؟ كان الدكتور توماس أول من لاحظها بعد مولده بيضع دقائق . أراني إياها وأبدى اعجابه بدقة شكلها .»

نظر الى كارولين في حيرة وقال :

«حسنا يا أنسة لندي لقد تأكدت الآن انه ابن فيتو بالفعل إذ من غير المعقول أن تعزو الى المصادفة ولادة طفل حاملا العلامة نفسها التي يولد بها كل ذكر في عائلة فيكاري على مدى الأجيال .

كان ما يقصده واضحا . فالى هذه اللحظة كان الشك يخامر في أن يكون الطفل هو ابن فيتو ولكن الشامة اقنعتة . كادت كارولين تختنق سخطاً ، وغضبت لمجرد شكّه في أنها - وهي تقوم بدور دورندا - فتاة منحلة لا تعرف من هو والد ابنها . وفي هذه اللحظة أحست كارولين بأن عليها أن تلقى هذا الرجل المتعطر درساً فقالت :

«لا أعتقد أنني قابلت رجلاً كرهياً مثلك .»

وفي غير اكتراث أشار الى الطفل المتدلّ بينها والذي كان يحاول

جاهداً أن يغالب النوم الذي أخذ يستبد به، ثم قال :
«أقترح أن تأخذي هذا الصغير الى فراشه يا أنسة لتدسي ، وعندما
تعودين نستأنف الحديث .»

أخذت كارولين تبحث في خزانة ملابسها عن ثوب معقول، وكان
الثوب الوحيد الصالح مصنوعاً من القطن ومغسولاً وألوانه غير
واضحة فارتدته . وهبطت الى حيث كان ينتظر .
استأنفها في أن يدخلن فسمحت له ثم جلس يحدق فيها وفاجأها
قائلاً :

«ألا تظنين أن الوقت حان لأعرف اسمك ؟»

فارتبكت وأجابته دون تفكير :

«اسمي كارولين .»

«كارولين ؟ اسم لطيف يناسبك تماماً . لقد اطلعت على قصتك مع
فيتو بطريق الصدفة عندما وقعت على الرسالة الأخيرة التي تقولين
فيها إنك ستلدين قريباً . كان ما ورد في الرسالة يدل على أنك يائسة
حزينة .»

ومرة أخرى ساد الاحمرار وجه كارولين بعدما أدركت أنه يظن بأنها
هي التي كتبت تلك الرسالة .

بدا عليه التردد قبل أن يسأل كارولين :

«هل لديك أسباب تجعلك تظنين أن فيتو كان متورطاً في علاقة بفتاة
أخرى عندما كان في وطنه ؟»

ورجعت بذاكرتها الى حديثها مع دورندا محاولة أن تتذكر ما اذا
كانت هناك فتاة ورد ذكرها مع فيتو لكنها لم تستطع . وقالت :
«لا ، لا أعتقد هذا .»

«إن سبب سؤالي هو انه وصلني بعض اشاعات عن علاقة المفروض
أنها قامت مع عارضة ازياء فائنة في لندن ثم أستطع الاهتداء الى
اسمها أو مكان عملها ولكنني أعتقد أنها كانا يظهران معا يومياً .
هل أنت واثقة من أنك لا تعرفين شيئاً عن هذه الفتاة ؟»

في هذه اللحظة شعرت كارولين بأنها لم تعد قادرة على مواصلة
الخداع وهست بان فقيره الحقيقة . ولكن قبل أن تستطيع الكلام
صرخ غاضباً :

«استغربين هذه الشكوك ؟ سمعت الكثير عن هذه العلاقة مع فتاة
وصفت بأنها سمراء تشبه تسماء وطني ، ثم اتيت الى هنا لأجد زهرة
انكليزية لها شعر ذهبي وجلد كالمخمل الأبيض تدعي أنها أم لابنه .»
وبعدما رmqها مطولاً أضاف :

«كان هذا هو السبب الذي حدا بي الى أن أعرض عليك الزواج . كان
اختياراً أن انت أردت ان تسميه كذلك . لو أنك أسرعت بالموافقة على
عرضي لكنت عرفت أنك فقط تبحثين عن زوج ثري ، ولعاملتك على
هذا الاساس . ولكن بما أن رفضك هذا العرض كان جلياً واضحاً وبما
أنني الآن أملك دليلاً على أن هذا الطفل هو ابن فيتو فلا يسعني إلا
أن أقدم اليك باعتذاري طالباً أن تغفري لي شككي واقنني أن تعرفي

أن عرضى لك سزال قائماً .»

وشهقت كارولين قائلة :

بيننا .»

أجاب في هدوء :

«لست متأكداً من ذلك . إنَّ لليال فوائد ولا ينكر رجل ذو عقل سليم أن فيتو سىكون أسعد خطأ في رعايتى . اننى أعلم أنك أمة ولكن ماذا لديك من الموارد لتستطيعي إعالته ؟ اننى أفدرك ياكارولين بأننى سأحاربك بكل ما أوتيت من قوة لأستردَّ الطفل . لماذا لا تعيدين النظر في اقتراحي؟ دعيني أخذكما الى ايطاليا حيث تشعران بالأمان . سىكون فيشو بين أهل أبيه وسىحبونه حتى ولو لم يعرفوا أنه ابن فيشو واذا وافقت على زواجنا فأننى سأبتناه ، وبهذه الطريقة سيعترف الى جده أيضا . انا لا أستطيع أن أفكر في طريقة أخرى لادخاله في حياتها دون أن أتسبب في ايلامها اذا عرفت الحقيقة . ألا تستطيعين أن ترغبي نفسك على الموافقة . كي تدخل في قليلا من الأمل الى حياة امرأة عجوز ؟»

«لكننى لا اريد ان أتزوجك فمئذ اللحظة الأولى التى تقابلنا فيها وأنت تحاول متعمداً أن تشيرنى . انك تنظر الى وكائى احدى الجواري اللواتى حملن أجدادك الى روما في مركبات . صدقتى ياسيد فيكاري اننى لا أفتنى أن أصبح زوجة لقبصر ومع ذلك فأنا أشكرك على هذا الشرف العظيم الذى منحنى اياه .»

ضحك قليلا وقد ضافت عيناه وقال :

«اذا أرجو ألا يكون لديك مانع من أن يعود ابن عمى الطفل الى منزله الشرعى .»

«ماذا تعنى ؟»

«أعنى ياكارولين أن ابن عمى يجب أن ينشأ في البيئة نفسها التى نشأ فيها أبوه . سىكون له المزايا التى كانت لأبيه والشعور بالأمان الذى ينبع من كونه عضواً في أسرة من أكبر العائلات ثراء في أوروبا . وهذا ما أستطيع أن أقوم به من أجله ومن أجل أبيه . هل تنكرين أننى أستطيع أن أفدّم اليه أكثر بكثير مما تستطيعين ؟»

فردت عليه بسرعة وقد أضفى الخوف حدة على صوتها :

«نعم إننى أنكر ذلك قد يكون لديك مال أكثر مما أفتنى أن أملكه . ولكن ذلك لا يعنى أنك تستطيع أن تجعل الطفل أكثر سعادة . اننى أحبه . انه ملك لى ومهما قلت أو فعلت فلن تستطيع أبداً أن تفرق

نظرت اليه في يروء وقالت :

«سأتزوجك .»

وانحنى الى الأمام ليلبس خدها الشاحب بأصبعه وقال :

لا تخافي مني يا كارولين . أعدك بأنني سأرعاكها، هناك شيء آخر»
«ماذا؟»

«أريدك أن تدركي أمر الطلاق من جانبك لن يكون وارداً على الإطلاق . هل تفهمين؟»
«نعم.»

اتخذت كارولين الترتيبات اللازمة لتخزين قطع الأثاث الثمينة عندها ريثما يتسنى شحنها إلى إيطاليا . وعهدت بالمنزل إلى وكيل أكد لها أنه سيُباع في الحال . ثم تم تحضير جوازات السفر وأصبح حفل الزفاف الذي حدد مواعده دومنيكو وشيكاً .

كانت كارولين جالسة أمام النافذة المطلّة على الحديقة عندما دخل دومنيكو من الباب المفتوح . وقال :
«مساء الخير يا كارولين.»

فردت عليه دون أن ترحب به أو تستدير له :
«مساء الخير.»

فأمسك بكتفها وأدارها في رقة حتى صارت في مواجهته ثم سأها :
«هل هناك ما يضايك؟»
«متعبة قليلاً هذا كل ما في الأمر.»

نظر إلى وجهها الشاحب ، واقرب منها ووضع يديه على كتفيها ثم غتم:

«مسكينة يا حبيبتي الصغيرة. بدأت تشعرين بهوطة الأحداث. أليس

كذلك؟»

واستند خده على وجهها ولما أدركت ما يتوي فعله انتهت وعادت إلى صوابها . ثم انتزعت نفسها من بين ذراعيه مشتمّة وقالت :
«أياك أن تكرّر ما فعلت.»

فرفع كتفيه في لامبالاة وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة وقال:
«لا تحاول أن تضغيني بأنك عفيفة. كوني طبيعية معي.»
«لا تحاكمني لأنني أحببت ابن عمك يا دومنيكو لقد حملت ابنه ولست نادمة على ذلك . وبسبب الحب الذي كنت أكنّه له وافقت على الزواج منك وأنا متأكدة من أن حبه سيظل حياً في قلبي.»

«ليست لديّ رغبة في الاستيلاء على ما هو لابن عمي . لكنّ القدر شاء أن يموت وأن أتولى القيام بمسؤولياته . ربما تجديني بغيضاً الآن لكنني أؤكد لك أنني سأعجبك عندما تتوطد بيننا العلاقات .

«يجب أن اعترف ، توقفت قليلاً ثم قال : بأنني أجده جذاباً كما وجدك فيتو من قبل فإن سحرك لا يقاوم.»

«أمل إذاً ألا تجدني ازدادت جاذبية بعد ازدياد التعارف بيننا فأكثر ما ينفر المرأة من الرجل أن يوليها اهتماماً ترفضه ولا ترحب به. وفي وسعي أن أؤكد لك يا حضرة السيد بأن اهتمامك بي مرفوضة ولا أرحب بها.»
تقدم نحوها وأحاطها بذراعيه وداعب شعرها ثم قال :

«مات فيتو ولن يعود إلى الحياة ونحن ما زلنا شباباً وأحباء . عندما تزوج سأوقع منك أن تنسي كل الرجال الآخرين وتكوني مخصصة لي

وحدي . انني اعترف بأنني أريدك . جاهدت طويلاً لأتخلص من هذه الجاذبية التي تشدني اليك ولكن كلما التقينا زادت جاذبيتك قوة .
انك تحيريني . من الواضح أنك لست بلا خبرة ومع ذلك فكلمنا حاولت الاقتراب منك ابتعدت تواريت عني خجلاً . أهى لعبة غامسيها معي فتكونين تارة باردة وتارة بريئة وخائفة ؟ انني أريد زوجة ياكارولين . زوجة بكل ما في هذه الكلمة من معنى .
أنفهمين؟

«لا تتوقع مني أن أتزوجك بهذا المعنى . وأنا لم أعرفك إلا منذ وقت قصير . لقد وافقت على الزواج منك من أجل الطفل ولكن ألا تعطيني وقتاً قبل أن ...»

واحتقن وجهها بالحيرة وهي تتلعثم ، ولم تجد من الكلمات ما تنهى به عبارتها فسألتها في رقة :

«قبل أن أجعلك ملكاً لي ؟»

استدار وأضاف :

«يجب أن أكون أميناً معك ياكارولين لأنني لا أحب الخداع ويجب أن أفصح عما أحس به . لا أستطيع أن أحسن لك أنني لن أحاول أن املكك فهذا الطهو الذي تلزمينه حتى الآن يغريني بأن أخذك بين ذراعي وأجعلك تنسين أنك عرفت أي رجل آخر . يوسعي أن أجعلك تنسين . لكنني أعذك فقط بأنني سأحاول أن أترك لك وقتاً كافياً لتعرفيني أكثر . قبل أن أطلبك بامتيازات الزواج . أيرضيك هذا ؟

هل تتزوجيني بهذه الشروط ؟»

وجدت صعوبة في اختيار الكلمات التي ترد بها عليه وأرادت أن تصرخ :

«لا لن أتزوجك» لكنها كانت قد تورطت في قبول الزواج منه من أجل الطفل . وتذكرت عبارته التي ردها مرات عدة « أنا لا أحب الخداع» كيف سيكون رد فعله عندما يكتشف . وسيكتشف ذلك بالتأكيد . أنها مارست معه أكبر خدعة . سيطلقها ؟ لا . انه أكد لها أنه لن يكون هناك طلاق . ماذا إذاً ، ماذا ستكون الطريقة الأخرى؟
وفجأة وكأنها ترى الضوء من خلال نفق مظلم تذكرت : «طبعاً إبطال الزواج»

لم يكن لديها صورة واضحة عن الطريقة التي ستسير فيها هذا الموضوع بالنظر الى اعتراف دومنيكو بشعوره نحوها . وحدثت نفسها قائلة «لو كان معني هذا أن أقاومه كل أيام الأسبوع فسأفعل . سيكون ذلك فقط في انتظار عودة دورندا الى الطفل . ثم نذهب ثلاثتنا الى منزلنا وننسى كل شيء عن عائلة فيكاري .»

وبعد أن رتبت الأمور في ذهنها على النحو الذي يرضيها . أدارت وجهها الى دومنيكو وقالت :

« حسناً جداً . اذا كنت توافق على أن تعطيني بعض الوقت كي تزود معرفتي بك فإني اوافق على الزواج .»

ونظر الى فيتو الذي كان ينام في سلام وقال لكارولين :
«اعتقد انه من الأفضل لك ان تنامي قليلا قبل أن نصل الى باريس.
لقد أمضيت صباحاً حافلاً بالعمل ولا أريد أن يغلبك النوم معي هذا
المساء عندما ارافقك لمشاهدة معالم المدينة. لدينا برنامج سننغذه قبل
سفرنا غداً الى روما».

امتثلت لما طلب منها وهي تجد متعة بالغة في ممارسة ترف لم
تعتاده وهو أن يتخذ قراراتها شخص اخر نيابة عنها ويزيل كل عضة
من طريقها .

لكن النوم جفاها ولم تستطع منع الأفكار من أن تتدفق الى ذهنها
مسترجعة كل ما مر بها من احداث .

استيقظت في اليوم التالي وقد استولى عليها شعور بأن الفجر واقع
لا محالة . وفجأة أدركت أن هذا اليوم هو يوم زفافها فتهدت الموقف
وفضلت لو أنها تعدل عن هذه الخطوة .

كان يريد أن يشتري لها ثوباً غالي الثمن لكنها رفضت قائلة :
«لدي نقود خاصة بي ويمكنني أن أشتري شيئاً مناسباً»
ورفع حاجبيه متسائلاً :

«لكنني كنت أعتقد أن من الأسباب التي تسعدك أن تحصل على مال
تنفق به في شراء الملابس أو أي شيء آخر»
هل تظن ولو للحظة واحدة ، انني أتزوجك لأي سبب غير الاحتفاظ
بفيتو معي ؟ لو انك تعدني بالرحيل لأعيش انا والطفل في سلام

٤ - الزواج

عندما حُلقت الطائرة ارتفعت معها معنويات كارولين. ومذت
ذراعها تشير الى كل ما يقع عليه بصرها قائلة :

«كل شيء رائع كأنني أسبح في الاحلام».

«هل هذه هي المرة الاولى تسافرين فيها الى الخارج ؟»

« الى الخارج ؟ انها أول مرة ابتعد أكثر من خمسين ميلاً عن بيتي ،

أدهشه هذا القول ولم تكن هذه بالمرة الأولى التي يتساءل فيها

عن مدى مالا يعلمه عنها . ثم قالت :

«هل سافرت في الجو كثيراً يادومنيكو؟»

«إن الرجل الذي يقوم بنشاطات دولية ليس أمامه من سبيل إلا هذه
الوسيلة».

«لا بد أنك تظنني سخيفة . أخشى أن تعمدني رغبة قلّ صحبتها إنني
أنفعل امام أي منظر جديد أراه».

«لا داعي للاعتذار . على العكس أني أنا الذي أصبحت مملاً وعندما
أرى الأشياء من خلال عينيك فكأنني اكتشفها من جديد».

فاننى أنخلنى عن هذه الحياة المترفة».

لكنه طبعاً لم يفعل . واستمرت ترتيبات الزواج .

بدأت المراسم الفعلية للزواج كحلل والثيء الذي انطبع في ذهنها هو الكنيسة الصغيرة حيث وقف دومنيكو في انتظارها أثناء تقدمها نحوه متأبطة ذراع محاميها السيد ولكنز .

وكانت ترد على كلام القس بصوت منخفض دون أن تخرج عن النظر الى دومنيكو الذي كانت اجاباته مباشرة وموجزة . وعندما وضع الخاتم الذهبي الثقيل في اصبعها ، فوجئت بقليلها يدق بقوة عند احتكاك أصابعه القوية به . وحاولت انتزاع يدها من يده لكنه صفت عليها بإحكام .

واستمر قابضاً على يدها وهما يتجهان الى الفندق حيث أعد لها غداء فاخر وعندما احتجت في همس بأن أصابعها بدأت تتخدر ، أطلق يدها ضاحكاً وكف قبضته عنها .

«الرجاء من جميع المسافرين أن يربطوا أحزمة السلامة».

تنهت كارولين الى الحاضر الذي تعيش فيه وبدأت تتحسس حزام السلامة . فامتدّت يد دومنيكو اليها لمساعدتها . وهو يبتسم .

هبطت الطائرة فجما أمتعتها وقاما بتوديع المضيفة الفاتنة التي انجزت عملها ببرعة . وتساءلت كارولين ترى هل كانت المضيفة تسدي مساعدتها على هذا النحو لو لم يكن المسافر في وصامة دومنيكو . وعند وصولها الى الفندق ، رأت فيه مالم تراه عيناها من قبل . فقد

خجرت لها شقة توافرت لها أسباب الترف القاحش . فالفندق الذي نزلا فيه هو أغلى فنادق باريس .

كانت غرفتها أبة في الذوق . ولما عادت الى دومنيكو ، كانت امارات اليهجة تشيع في وجهها . وسألها مبتسماً :

«هل أعجبتك ؟»

«انها حقاً جميلة» .

«إذا أنا مسرور . أعتقد أنه من المهم أن يكون كل شيء على أكمل وجه في شهر العسل . ألا توافقين ؟ إن باريس مدينة العشاق يا كارولين» .

طاف وجهه الضاحك في جميع أرجاء الغرفة وعندما اقترب من وجهها وقيل أن تفكر في رد مفحم عضت على نواجذها في قلق وهي تتساءل : الى متى ستتمكن من إبقائه بعيداً عنها وهو في هذا السلوك المغري .

وبعد أن اتفق مع مدير الفندق على أن يقوم أحد موظفيه برعاية قبتو ، دفع كارولين وهي في حالة ارتباك الى سيارة أجرة .

«الى أين نحن ذاهبان ؟»

«سأذهب لشراء أشياء ضرورية يا عزيزتي . لقد اخترت أنت بطريقتك الخاصة ملابس زفافك . لكنني لا أريد أبدأ أن أراك في هذا الثوب البشع الكاكي اللون الذي كنت ترتدينه في أول يوم تقابلنا

فيه . وأريد في أول فرصة أن ألقيه في نهر السين .
«الثوب ليس كالكثير اللون . انه يبيع ولن أدعك تلقى به في النهر . انه يعجبني.»

وقفت السيارة أمام صف من المساكن العادية . ولما صعد دومنيكو السلم فتح الحارس الباب .

واندفعت سيده بدنية لا يدل شكلها على سننها الحقيقية . فتخطت كارولين ولفت دومنيكو بذراعيها قبالها العناق بحماسة
ثم قال لبريجيت :

«أريدك أن تقابلي زوجتي كارولين . انها لا تعرف الفرنسية يا بريجيت.»

التفت بريجيت وفي عينيها إشارات الدهشة وقالت :

«زوجتك ؟ إن هذا الخير سيفضب نصف السيدات المعجيات بك في روما.»

ثم أخذت تتفحص كارولين . لم يفتها شيء منها حتى شعرت كارولين بارتباك شديد . وكان دومنيكو في دهشة كبيرة لكنه أثار الصمت .

تأثرت كارولين عندما التفت بريجيت نحو دومنيكو وقالت له :
«أه يا دومنيكو انك لرجل محظوظ انها كاملة حقا ... او على الاقل ستكون كذلك عندما أنتهي من تضبيبها.»
أجاب دومنيكو :

«هذا هو السبب الذي من أجله جئنا الى هنا . صحيح أن الوردة الانكليزية جميلة . لكنها تحتاج الى عملية صقل قبل تقديمها الى المجتمع الراقي في روما . ألا توافقيتني يا بريجيت ؟»

«أوافقك ولكن مع قليل من الماكياج فقط لأننا لا نريد أن نفسد جمالها الطبيعي . هل تتركها لي ساعة أو ساعتين ؟ لن أقمك من تجهيز كل ملابسها في هذا الوقت القصير طبعاً ولكن يمكنني أن أجهز لها ثوباً لهذا المساء . وربما استطعت أن أعد لها ملابس لنسافر بها الى روما غداً كما طلبت . أما الباقي فسنرسله بعد ذلك.»

«كنت أعلم انه يمكنني الاعتماد عليك . ارجو تحضير بعض الثياب الفاتنة يا بريجيت . ولا بأس من ان يكون بعضه مصنوعاً من الدانتيل الأسود.»

ضحكت بريجيت وقد أدركت قصده . وفي أثناء ذلك انصرف دومنيكو تاركاً كارولين تتعثر في خجلها الشديد .

بدأت كارولين تصاب بدوار وهي تحاول اختيار الاجمل من المجموعة الراقية للأزياء التي عرضت أمامها . وأخيراً قررت أن توافق على ما تختاره بريجيت دون تردد . وعند اختيار ثوب السهرة لليلة الأولى في باريس انجبت أنفاس كارولين . وقفز قلبها عندما تصورت رد فعل هذه التحفة الرائعة على دومنيكو .

«رائع يا صغيرتي . ابتسمت بريجيت وقالت : الليلة تنعم باريس بشاهدة اثنين من أكثر العشاق وسامة.»

آخر وجه كارولين وعانقت السيدة الفرنسية بحرارة وهي تهمس في خجل :

« أشكرك على كل شيء ».

« هناك أمر آخر يجب عمله . سأطلب من مصفف الشعر الخاص بي أن يقوم بتصفيف شعرك حتى يتناسب مع تصميم الثوب ».

بعد عودة كارولين من عند الحلاق الذي صفف لها شعرها ، كان دومنيكو وبريجيت يتناولان المربطات . أطلقت بريجيت صيحة فرح عندما رأت الابداع في تصفيف شعر كارولين لكن دومنيكو لم يقل شيئاً مكثفياً بالابتسام . ثم نظر إليها عن كثب وقال :

« هل أنت متعبة يا كارولين ؟ أعتقد أنه من الأفضل أن تستريحي قبل العشاء لتستعيدتي نشاطك قبل أن أخذك لتشاهدي حياة الليل في باريس ».

واستغربت بريجيت وقالت :

« متعبة ؟ كيف تقول عن طفلة في سنها أنها متعبة الى الحد الذي يمنعها من التمتع بليلة في أكثر مدن العالم رومانسية وفي شهر عسلها ؟ اذا تابعت هذا الاسلوب فسيساورني الاعتقاد بأنك أصبحت عجوزاً . أبلغيه يا كارولين بأن ما أقوله صحيح ».

« أشكرك يا دومنيكو لست متعبة على الإطلاق . لم أشعر في حياتي بزهدي في النوم مثلاً أشعر الآن ».

كانت الخيرة هي أول ما انطبع في ذهن كارولين عن باريس في

الليل بسبب هذه المناظر المتتابعة . من محلات جميلة الى ميادين مضيئة وشوارع فسيحة مصطفة بالأشجار . كل هذه الأشياء رأتها كارولين بعينين منبهرتين ، ومن خلال نافذة السيارة السرعة التي كانت تتجه بها الى مطعم أنيق ، طالما ارتاده دومنيكو أثناء زيارته العديدة للمدينة .

سارتجاهها ووضع يديه حول خصرها التحيل ثم قال :

« أميرتي كارولين ، أخشى أن أصطحبك هذا المساء خوفاً من أن يقتلني خسادي في هذه المدينة ، عندما تراك باريس الليلة ستسجد تحت قدميك ».

قال هذا ثم تقدم منها وعانقها .

« دومنيكو ، لقد وعدتني بأن تنصرف وكأنا التقينا للمرة الاولى هذا المساء . اذا كنت تعزم الاستمرار في هذا السلوك فسأرفض الخروج معك ».

« أنت تطلبين المستحيل يا كارولين ! كيف تتوقعين مني أن أتصرف كتمثال وأنت تبدين جذابة للغاية ؟ انني أعرف الآن لماذا فقد ابن عمي فيتو صوابه امام جمالك الصاعق ».

خفتت في صدرها صرخة الألم التي انتزعته كلماتها منها ، ومع ذلك سمع هذه الصرخة فالتفت اليها سريعاً وانحدر نحوها لياذنته قائلة :

« ابتعد ! لا أريدك أن تلمسني . ولا أريدك أن تكلمني ».

تجاهل طلبها وأمسك بكتفيها وأجبرها على أن تنظر في عينيهِ :
«أسف يا كارولين، أرجو أن تصفحي عني. لا بد أنني أكثر الناس
أنانية لأعاملك بهذه الطريقة. اني أعرف أنك تريد أن تسمعي
بهذه الليلة، وأنا مسؤول عن اقصاد جزء منها. ولكني سأعرضك.
أرجو يا كارولين دعينا نفعل كما خططنا وانس كل شيء. عدا
الحقيقة، وهي أننا هنا لثمتع أنفسنا. هل تسمحين بذلك.»
«هل سيكون سلوكك حسناً يا دومنيكو؟»
«نعم.»

وقفت السيارة خارج واجهة المطعم الذي اختاره دومنيكو لتناول
الطعام فيه . وعندما دخلوا القاعة تركزت العيون عليها. قادها
الكرسون الى مائدتها ، وعندما اتخذوا مجلسها بدأت الفرقة الموسيقية
تعزف ، وخفت الأضواء.

وعندما انتهى طعام العشاء كانت قدما كارولين في تلهف الى
الرقص. لقد كانت تحب الرقص اذ كانت الحفلات الراقصة النادرة
التي دعيت اليها في الاعياد هي أحل ما في حياتها مع أبيها. وعندما
بدأ يرقصان فوجيء دومنيكو اذ وجدها تتلاشى بين أحضانها ، وكانت
خطواتها تتوافق تماماً وهما يتحركان على الأنغام البطيئة الحاملة التي
كانت تعزفها الفرقة الموسيقية .
وقتم قائلاً :

«لن تكفسي عن اثاره دهشتي . فأنت خفيفة كالريشة في يدي . انك

ترقصين في روعة.»

لم تجه. فقد فتنت بسحر تلك اللحظة وخشيت أن تتكلم فنبذ
ذلك السحر وطوفها بذراعيه وأخذ يضمها بقوة وهما يرقصان، ووجنته
تستكين على شعرها الذهبي المتوهج. ودون أن تشعر، استرخت عليه
ورقصا سوية غافلين عن كل ما عداها. مستغرقين في سحر الرقصة
الأول. وأعادها التوقف المفاجيء للموسيقى الى الواقع. انبسم
دومنيكو لها بينما بقي ذراعه ملتقاً حول خصرها، فردت الابتسامة وهي
تسحب ذراعها من حول رقبتة ، ثم سارا تجاه منضدتها. ولما جلست
الى المائدة علنى دومنيكو على لون وجهها المتوهج بابتسامة فائلا:

«ألا تعرفين المثل القائل «كل الدنيا تعشق العاشق» ياكارولين؟»
«لكننا لسنا عاشقين . أخشى أن تكون الموسيقى قد جرفتني . أرجو ألا
تتخيل انني كنت أغازلك يا دومنيكو. فاني لم أشعر أنني أرقص
مع شخص معين.»

«إذا كان الأمر كذلك فسأحاول أن أرقص معك دانياً . انك دانياً أكثر
تجارباً في حلبة الرقص.»

«كانت ليلة رائعة يادومنيكو . أشكرك للغاية.»
«لكن الليل مازال طويلاً . لن نعود الى الفندق الآن فيأزال عند
باريس مزيد تقدمه لنا . انتظري حتى تشاهدي الاستعراض المسرحي
في كازينو دي باري أو لعلك تفضلين الى قولي بيرجير؟»
«اترك لك حرية الاختيار.»

ظلاً مرحين طوال الليلة الممتعة التي أعدها دومنيكو . وبعد
العشاء تجولا في سيارة حول المدينة حيث شاهدت ولو بسرعة بعض
المعالم التي طالما سمعت عنها .

ووجدنا أن بينهما أموراً كثيرة مشتركة . فقد كانا يجبان الأشياء
نفسها ويضحكان للدعابات ذاتها ويستهو بهما النوع نفسه من
الموسيقى . بل وجدنا أنها يكرهان الأشياء نفسها .

التفت دومنيكو الى كارولين وقال :

«أنت متعبة ؟ يا لميافتي اذ لم ألا حظ ذلك ! أمضيت يوماً طويلاً وقد
بدأت تتأثرين يا فتعال هذا المساء والرحلة التي قمنا بها.»

كانا يجلسان في ناد من أرقى النوادي الليلية في المدينة اختاره
دومنيكو ليتزوج أمسيتهما . وكان الجو الدافئ والأضواء الخافتة تضيئ
على النوم . وأحسّت كارولين بموجة غامرة من الإرهاق تتألبها .
وشعرت بثقل جفونها . وبجهد استطاعت أن تنفض التعب الذي
استولى عليها .

أمسك بيدها ومازحها برفقة قائلا :

«أتدريين ؟ إن النسيب بينك وبين الطفل فيتم هو أوضح ما يكون في
هذه اللحظة . فهو يجاهد بالأسلوب نفسه ليتغلب على نعاسه . أرجو
ألا تستسلمي بالسرعة التي يستسلم بها . وإلا اضطررت أن أضعك
في فراشك عندما نعود الى الفندق.»

«أشكرك يا دومنيكو فلن يكون هناك داع لهذه الخطوة . سأكون قادرة

على أن أذهب الى الفراش بنفسي.»

«يا للخسارة . لكنني مازلت أرى أنك انفعلت بما فيه الكفاية ليوم
واحد . سترحل الآن . وعندما نصل الى الفندق سأطلب بعض

الساندوتشات قبل أن نأوي الى الفراش . أتجيبين ذلك ؟»

«لست جائعة يا دومنيكو . أظن أنني أفضل أن أذهب الى السرير
مباشرة اذا لم تمانع .»

«لكنني أمانع . لا تغلقي فلن ابقيك مستيقظة طويلاً.»

أمر البواب بأن يأتي لها بسيارة وبعد قليل وصلا الى الفندق .

بدأت كارولين تلدع غرفة الجلوس ذهاباً ورجوعاً قلقلة من توقع
المواجهة الوشيكة مع دومنيكو . وتمتمت لنفسها «انني أعرف انه
سيحاول التقرب مني الليلة . أستطيع أن أحس بذلك .»

خاطبها دومنيكو قائلاً :

«لم لا ترتدين ثوباً يوفر لك إراحة جسمك المتعب ؟»

«أشكرك يا دومنيكو . فأنا مرتاحة في هذا الوضع .»

«إذا اجلسي واسترخي فلن أكلك.»

ومفقه بنظرة عصبية سريعة فأقرب منها . أحاطت كتفها بذراعيه

وبدأ فليها ينفض في غير انتظام وهي تقاوم تحديقه فيها .

«لقد وعدت يا دومنيكو بأنك لن تعود الى تصرفاتك التي ازعجتني.»

«أنا مازلت عند وعدي .»

«انك تعرف ان هذا ليس صحيحاً . قلت انك لن تحاول استئثني

كان هذا جزءاً من اتفاقنا.

«كلا . كان ما وعدت به أننا سنكون كشخصين تقابلنا للمرة الاولى هذا المساء . واننا سنخرج ونشتمع سوياً دون أن نفكر في ما حدث قبل ذلك .»

«إن هذا يعني ألا نحاول الاقدام على تلك المنصرفات .»

«بالطبع لا . انني أنصرف بالطريقة نفسها التي كنت سأنصرف بها مع أي فتاة أخرى أمضيت معها ليلة ساحرة .»

فهمت كارولين المعنى القاسي لكلماته وكان مضموها صغرة قوية لها . فقد كان يعني أنه لم يحترمها الى الحد الذي يحطه يتصرف معها بطريقة أخرى . لقد خدعها . كان طوال المساء يستغل سعادتها لكي يحطط لهذه النهاية . أرادت أن تكرمه لكنها لم تستطع . وكل ما استطاعت أن تشعر به هو احساس بالهوس . وكلها سحت لها فرصة للتفكير فيه جلب اليها ذلك المأ غير محتمل:

«فلنتك رجلاً دمثاً يا دومنيكو .»

«هل من الضروري أن أذكرك ثانية بأنك زوجتي يا كارولين ؟ ألم تخبريني عندما سألتك عن مدى معرفتك لفتي بانك تورطت معه حتى النهاية ؟»

ثم صرخ :

«ومع أن وضعك الآن وضع محترم إذ تحمّلين في اصبعك خاتم الزواج إلا أنك مع ذلك تفضلين التصرف في حذر .»

وحفر بأصابعه في أكتافها بقسوة وهو يجذبها تجاهه .

«أناك تخبرين مني بحرق الدم من العروق يا كارولين وانني لأكره نفسي من أجل ذلك لكنني لا أستطيع أن أقاوم الرغبة الملحة في تطويب الشلج الذي كونه حول قلبك المتحجر .»

وتطابير الشرر من عينيه وهو ينظر اليها قائلاً :

«هل انت باردة كالثلج معي فقط ؟ اذا كان الحال هكذا فأنا أعرف كيف أذيه ! وأستطيع أن أجعلك تستجيبين .»

حاولت أن تتخلص من يديه اللتين كانتا تمسكان بها لكنهما كانتا كقيد من الصلب . وبدت في عينها كابة عكست ما يمكن في قلبها الباكي من حزن لكنه لم يلاحظها أو لعله لاحظها ولكنه لم يكثرث . صم على تنفيذ ما يجول في خاطره .

وشعرت كارولين بالتعب يسيطر على كل جزء في جسمها التحيل فاسترخت وقذفت واستغرقت في سبات عميق .

لانت نظرة دومنيكو وهو يحذق في وجهها البريء فشمع ينزع من الندم وتوبيخ الضمير . ثم حملها في رفة الى غرفة النوم ووضعها في سريرها وانصرف !

«لا داعي للقلق يا كارولين . فالعمة رينا هي من أحب النساء اللواتي
عرفتهن»

ثم رفع كتفيه بلا مبالاة واستطرد :
«أما بالنسبة الى بقية أفراد العائلة ، فلا قيمة لما قد يفكرون فيه أو
يقولونه .»

«يا لك من رجل ! فأنت لا تعبأ بفضول أسرتك الطبيعي ودهشتهم
لجئي . فرد جديد الى العائلة لا يعرفون عنه شيئاً . كيف كنت تتصرف
لو أن فيتو ألقى بي وبالطفل بينكم من دون مقدمات كأمر واقع
يجب قبوله ؟»

ودون أن يحول عينيه عن الطريق التقط سيكارة من العلبة التي
كانت في جيبه وأشعلها . وبدأ عليه أنه يتروى قبل أن يرد . ثم قال
لها :

«لعل من الأفضل توقع أسوأ الأمور . ولا شك في أن تصرفهم
سيكون كذلك فعلاً . ولكن لا داعي للقلق ، فلا يعنيك رأي
العمة رينا . وستشرح لها الأمر بطريقة تلتعها ، ولو لم تنجح في ذلك
فهي لن تتساءل عن هذا الأمر مراعاة لمشاعري . واعتقد حقاً أن
الطفل سيكون تعويضاً كافياً لها عما يعثر بها من ألم لأننا كنتمنا أمر
زواجنا»

«أتتوي أن تخبرها بأننا لم نتزوج حديثاً؟»
«هذا أصعب قرار كان علي أن أخذه .»

ونظب جبينه واستطرد قائلاً :

٥ - في روما

كانت السيارة في انتظارها عندما هبطا من الطائرة التي حملتها
من باريس هذا الصباح . وبدأ على وجه دومنيكو الارتياح وهو يتخذ
مكانه أمام عجلة القيادة اذ هجر سيارات الأجرة في باريس
والسيارات المؤجرة التي كان يستعملها في انكلترا.

نظرت كارولين الى فيتو الذي أخذ يهدل بحرور وهو مستلق في
مريره الخفيف المثبت في المقعد الخلفي ، وعندما اطمأنت الى راحته
نظرت بطرف عينيها الى الملامح الجانبية لوجه دومنيكو المشبعة بالقوة
والصرامة وفتحت قمها وهي تهم بالكلام لكنها عدلت عن ذلك .
وأخذت أصابعها تمزق مندبلها المخملي الثمين فأتلفته دون وعي منها
بسبب قلقها من المحنة التي كانت تزداد منها اقتراباً مع كل دورة من
دورات عجلات السيارة .

هل ستحييها عمة دومنيكو؟ هل يقبلها أفراد عائلة دومنيكو دون
اعتراض أم أنهم سيظهرون العداء لفتاة افتتحت عائلهم فجأة ؟
بينما كانت تفكر في كيفية بدء الحديث مع دومنيكو فاجأها بقوله :

«لم أخدعها ابداً في حياتي . ولذلك فلا خيار أمامي إلا أن أخبرها بأنه مضى على زواجنا عام كامل وأنا اضطررنا الى كتمان الأمر بسبب اعتراض أمرك على الزواج وأنت في هذه السن الصغيرة . أتظنين ذلك ملائماً؟»

فقالت بتردد :

«لست أدري . ترى ألا يدهشها أنك انتظرت حتى بلغ الطفل سنة أشهر لتطلعها على الأمر؟»

ضحك سيكارتيه متأففاً وقال :

«طبعي أن ذلك يؤلها لكن الأمر يختلف متى عرفت أن الطفل هو ابن فيتو»

وأخيراً حانت اللحظة التي كانت تخشاها . فقد توقف دومنيكو أمام منزل فخيم شبه منعزل . وبسبب انفعالات الزائد تعثرت قدمها وهي تخرج من السيارة وسرها أن وجدت ذراع دومنيكو الى جانبها تسندها حتى استعادت توازنها . دق دومنيكو الجرس وقبل انقضاء فترة كافية من الوقت ايذاناً بوصولها . فتح الباب . وانطلقت منه صيحات :
«دومنيكو دومنيكو أخيراً . أخيراً»

ذلك أن السيدة العجوز لم تنتظر قيام خادمها بفتح الباب . وكانت تيكى وهي تطوق دومنيكو بذراعيها ضاحكة .

وبعدما عانقها بحرارة قال لها :

«عمتي رينا أنت فائنة كما عهدتك دائماً»

وحملها بين ذراعيه ثم دار بها حتى توسلت اليه أن يرجعها قائلة له

ر

وهي تلهث :

«دومنيكو أنزلني في الحال ! ماذا ستظن زوجتك في تصرفي هذا؟»
فأنزلها برفق حتى استردت ما اهتز من هيبتها قبل أن يمد يده الى كارولين قائلاً :

«عمتي رينا أريدك أن تقابلي المرأة الوحيدة التي أحببتها بعدك انت»
وفي خجل مذت يدها وجدت في العينين البينتين الدافنتين اللتين كانتا يحدقان نحوها . وأحست بالدفع لما رأتها فيهما من عطف وحنان . وشعرت بالارتياح عندما خطر لها أن السيدة منفعلة مثلها تماماً وتراءى هذا كله في ابتسامة متألقة تبادلتها معها .

رفعت العمة رينا وجهها لتلقى قبلة كارولين . ثم مالت برجوها نحو دومنيكو وقالت :

«أشكرك يا عزيزتي . كنت أخاف أن يتعذر الأنسجام بيننا ولكن كان يجدر بي أن أدرك جيداً انه لا سبيل الى الشك في فوق دومنيكو الذي لا يخطيء»

قابست دومنيكو قائلاً :

«أذن فأنت راضية عن اختياري يا عمتي رينا ؟»

هالم يقل غريغوري الأكبر عبارته التي اشتهر بها ومؤداها :
«ليسوا انكليز بل هم ملائكة» والتي فاطما عندما رأى الأطفال الانكلو الساكنون للمرة الاولى يا دومنيكو ؟ هذا ما ذكرتنه به كارولين . ذلك الشعر الذهبي الجميل وتلك البشرة الملساء والعينان اللتان لها برامة الملائكة نعم يا دومنيكو انني راضية عن ملاكك

وابتسمت لها وهما يقفان وقد تشابكت أيديهما . ولما رافقتها العمة رينا الى غرفة الاستقبال نظر دومنيكو الى عيني كارولين ورفع حاجبيه في مرح . وأحست كارولين بأنها تكاد تختنق وقد قلقلها شعور من الاسف اعتقاداً منها بأن خداعها هذه السيدة العجوز العزيزة شيء كريمة فقد بدت عذوبتها واضحة لكارولين وعرفت أنها قد تزداد مع الأيام حباً لها .

وأفسحت العمة رينا مكاناً مجاوراً لها على الأريكة وكانت تدعو كارولين الى الجلوس الى جانبها . وجلس دومنيكو أمامها وأخذ ينظر اليها وهي تصب الشاي في فناجين هي من الرقة بحيث تشبه قشرة البيض . وخطب كارولين قائلاً :

«انك عجبرين العمة رينا على أن تشرب الشاي فالفهوه هي شرابها المفضل . لا بد أن تشعرى بالفخر لأنها تحبك حباً جعلها تشاركك في ما كانت دائماً تصفه بأنه مزيج مفرز للنفس .»

قطبت عمتها جبينها وهو يمازح كارولين ثم مالت الى الأمام لتضربه على ركبته ضربة حادة وقالت :

«هذا هراء يا دومنيكو فكثيراً ما أتناول الشاي مع أصدقائي الانكليز وسيضيأقني جداً اذا أشعرت كارولين بأنني أتناول الشاي لجزء تفضيلها لياه . كان يجدر بك أن تساعدنا على الشعور بالارتياح بدلاً من أن تزيدها ارتباكاً.»

ثم استدارت الى كارولين قائلة :

«ما أكثر ما تسبب في إثارة ثائرة ابني فيتو بحيله ومزاحه . لقد كان يقيظه بلا رحمة وخاصة عندما كانا طفلين .»

جلست كارولين الطفل فيتو وجاءت به الى غرفة الاستقبال لتعرضه على العمة التي ما أن رآته حتى صاحت :

«أه يا دومنيكو . ها هو ابني فيتو مرة أخرى . فالتشابه بينهما أكبر من أن يصدق عقل . يا عزيزي فيتو!»

قالت كارولين بركة :

«أطلقنا عليه اسم ابنك يا عمتي فلنا منا بأن ذلك يسعدك .»

مدت يدها ناحية كارولين ورمت دومنيكو بنظرة عرفان بالجميل وقالت منفعلة :

«أشكركم . انكم ترعيان شعور سيدة عجوز . انني مسرورة للغاية لأنكم فكرتما في بهذا المقدار .»

وضع دومنيكو اصبعه تحت ذقنها ورفع وجهها لكي ينظر في عينيها وقال :

«تعرفين طبعاً أن من أسباب سعادتنا أن نقوم بأي شيء في سبيل راحتك أنا مدين لك بأكثر مما أستطيع الوفاء به . وفيتو أيضاً . فلقد قاسمني أمه ومنزله وسأظل مقدراً لجميلكما الى الأبد.»

«هراء يا دومنيكو . فأنت تعرف انها لم تكن مسألة قسمة . لقد كنت ابناً آخر لي وأخاً محبباً لفيتو . لا أريد أن أسمع كلمة عرفان بالجميل مرة أخرى . فقد أعطينا أكثر مما أخذت منا بكثير.»

وغامت عيناها بالدموع اذا لم يكن قد مضى على موت ابنتها الا

وقت قصير ولم تكن تقوى على التحدث عنه برياطة جاش وانتقلت الى موضوع آخر حتى لا تنوء تحت وطأة أحاسيسها .

« كانت رسالتك التي ذكرت فيها خير زواجك وأنتك أصبحت أباً مفاجأة كبيرة لي يا دومنيكو . »

دخل إيمانويل الغرفة بعدما نقر الباب ، ثم وقف في جوار مقعد العمة رينا . كان عجوزاً مثلها . هو عمل وأبوه من قبله في خدمة أسرة الفيكاري منذ أن كان صبياً . وأشرق وجهه الأسمر المجدد وهو يتأمل السيدة العجوز وهي ترضى الطفل في سعادة غامرة . وتجمعت شفتاه عندما ابتسم بعد أن صوب فيحو نظره اليه وأخذ يضحك وهو يحدق في اتجاهه . ثم قتم مسروراً :

« انه حقا من عائلة فيكاري . ابن حقيقي لأبيه . »

واحمر وجه دومنيكو قليلا وقال :

« أشكرك يا إيمانويل . لكن أرجو ألا يسبب لك إزعاجاً كما كنت أفعل في صغري ؟ »

فرد بصوت مرتفع :

« إزعاج يا سيد دومنيكو ؟ ألا ليتنا نستطيع التغلب على كل ما يسبب لنا إزعاجاً بالسهولة نفسها التي كنا نعالج بها طيشك ؟ »

ثم جز قدفيه في قلق . فسألته العمة رينا وقد نفذ صبرها :

« قل لي يا إيمانويل . ماذا يزعجك ؟ »

« أنت تعرفين أوامر الطبيب ياسيدتي . يجب الحرص على راحتك بعد الظهر دائما . ألا تحبين أن تأوي الى فراشك الآن ؟ سأخبرك في الوقت

المناسب لتستعدي للعشاء . »

وعندما رأى أن العمة رينا تهم بمجادلته ، لجأ الى دومنيكو وقال :

« إنها أوامر الطبيب الصريحة بأن تأخذ قسطاً من الراحة كل يوم بعد الظهر يا سيد دومنيكو . منذ الصباح وهي تنتظر وصولكم في قلق . فأرجو منك الالتحاح عليها في تنفيذ أوامر الطبيب الذي أخذ على عهداً باحترام أوامره . »

وانتظر رد فعل دومنيكو ثم ابتسم شاكراً عندما رآه يتولى الأمر بنفسه اذ أخذ الطفل منها وأعطاه لكارولين متجاهلا اعتراضاتها ثم رفعها وحملها الى الباب وتركها في رعاية أدلينا زوجة إيمانويل التي دفعتها الى الداخل وأغلقت الباب .

عاد دومنيكو الى الغرفة والابتسامة تعلو شفتيه وقال لكارولين :

« اشكر لك طريقتك في معاملة العمة رينا . »

« لا داعي لأن تشكرني يا دومنيكو فهي في اعتقادي من أطيب من قابلت من الناس وأرجو ... »

ترددت فقاطعتها سائلا :

« ماذا ترجين ؟ »

وفي بظه استكملت حديثها قائلة :

« كل ما كنت أرجوه هو أن يكون لقائنا خلواً من هذه السحابة من الخداع التي تخيم علينا فهي أطيب من أن نخدعها بهذه الطريقة . وما لا ريب فيه أن لديها قلباً كبيراً يستطيع أن يتسع لحفيدها دون حقد . بل انه ولو لم يكن أبواه متزوجين لما حملت الطفل وزر هذا

الأمر في اعتقادي .»

«هل تقصدين أنه لم يكن هناك داع لزواجنا وإن العمة ستقبل الطفل
أيًا كانت الظروف ؟»

«نعم ، أعتقد أنه لم يكن هناك أي داع لذلك .»

«مضى الآن وقت التفكير في ذلك . وفي أي حال كيف لنا أن نعرف ما
سيكون رد فعلها متى عرفت أن الطفل هو ابن فيتو لا ابني؟ صحيح
أنها لن تلقي بك أو به خارجاً لكن الصدمة قد تقتلها ، وأنا لم استعد
لهذه المغامرة.»

«لم يكن لمعرفة بأن الطفل هو ابنك أي أثر سيء يا دومنيكو . ولا بد
أنها تشك في الفترة التي انقضت بين زواجنا وميلاد الطفل لأن أحداً
لم يخبرها بهذا أو بذلك . كيف تقول لها إننا تزوجنا منذ أكثر من عام
وإنك لم تر ضرورة لإبلاغها بذلك.»

«سبق وأطلعتك على خطتي . وإن ارتابت قلن تسألني . إن ذلك
سيؤلمها لكنك تعرفين أننا لا نستطيع أن نحول دون حدوث ذلك . لقد
كانت دائماً تعاملني كأبن لها ، وكنت أحصل على كل ما ينعم به فيتو
من حب وعاطفة ولكن مع ذلك .»

حزنت كارولين لنظرة الألم التي بدت في عينيهِ وهو يستطرده قائلاً

«كان هو ابنها الحقيقي لا أنا . هذا هو الفرق يا كارولين .»

ثم استدار حتى لا ترى وجهه :

«هناك رابطة بين الأم وابنها لا يستطيع أحد أن يقطعها أو أن

يشاركها فيها أيضاً.»

لم يكن قد أخبرها الشيء الكثير عن طفولته . وكل ما كانت تعرفه
أن والديه قتلا في حادث سيارة ولم يكن عمره اذ ذاك يزيد على السبع
سنوات بدأ يشرح لها قصته بالتفصيل قائلاً :

«كان والدي أخا لوالد فيتو وعندما أصبحت يتماً فتحت العمة رينا
والعم أرتورو قلبهما وبينهما لي . ومات العم أرتورو فجأة عندما
كنت وفيتو في الثانية عشرة من عمرنا . وتحملت العمة رينا عبء
تربيتنا . وسأفل مديناً لها بهذا الجميل الى الأبد . كان فيتو سخيًا
معى وأشركني في كل شيء فمن واجبي أن أفعل كل ما في وسعي
لمساعدة فتاة كان مقدراً لها أن تصبح زوجته . وما هذا الا تضحية
ضئيلة اذا ما قورنت بما نعت به من حب وأمان .»

استدار نحوها فجأة ونظر اليها قائلاً :

«لم تشعر بالحاجة الى المال في أي يوم من الأيام يا كارولين ، فلقد كان
لدينا الكثير منه دائماً . لكن المال لا يشتري ما ظفرت به من حب .»
كان عليه أن يتخاسم الحب طوال حياته أو على الأقل منذ وفاة
أبويه . وما هو الآن مضطر الى مقاسمة فيتو حبه لزوجته وهو الحب
الذي ينبغي أن يكون له وحده . ورغبت في أن تلقي بنفسها بين
فراعيه لتسبع هذا الجوع الشديد الى الحب الذي أظهره دون أن يدري
، ولكنها لم تجرؤ على ذلك . فقد كان دومنيكو رجلاً متكبراً فقط ولم
يكن ينيماً بانساً يبكي أمه اشتياقاً اليها . وكانت تعرف أن مبادرتها
ستلقى الرفض فازدادت إصراراً على أن تحرره من هذا الزواج الزائف

في أقرب فرصة معها تكن العواقب .

كان فيتو يتمو بسرعة ويستعد للثروع في الوقوف دون مساعدة احد . وكانت حركاته ترهق كارولين . وذات يوم سمع دومنيك أيتها وشاهد ما تعانیه بسبب الطفل فانحنى ورفع الطفل قائلاً :

«دعيني أخذه منك . انه يرهقك وأنصحك بأن تذهبي الى غرفتك لتسترجي قبل أن تقابلي بقية أفراد الاسرة هذا المساء .»

ولما رأى الانفعال على وجهها قال :

«لا تقلقي ، أؤكد لك أنهم اناس طبيون .»

وابتسم لها وخفق قلبها . كان يحمل فيتو بالحنان الذي بيديه كل ايطالي نحو طفله وقالت لنفسها . ياله من رجل يصلح أباً رائعاً . لو... وضافت ذراعاً بنفسها لهذا النسي فتنهضت وتوجهت الى الغرفة المخصصة لها يرافقتها دومنيكو .

وعندما فتح الباب لكي تتقدمه الى الداخل انبعثت منها صيحة تنم على السعادة .

ومشت على سجادة أزرق سميك ينسبط على أرض الغرفة من الجدار الى الجدار . وكان الأثاث مصنوعاً من خشب ذي لون فضي ناصع براق . أما النوافذ الشاهقة ، فقد اكتست بستائر ظلال لونها شبيهة بلون السجادة الزرقاء ، وتدلّت بارتفاع الجدار . أما الجزء المتوسط من الغرفة فقد استقر فيه فراش أنيق غطي بدوره بأغطية من اللون الأزرق أسوة بالبستائر والسجادة .

وقفت كارولين مشدوهة لا تقوى على الكلام وهي تتأمل جمال

الغرفة التي اختارتها لها العمة ريما يحدوها الى ذلك عطفها ورفقتها . وهست قائلة :

«أه يا دومنيكو !»

«لا ريب في أن العمة ريما أولئك شرفاً عظيماً . فعل ما أذكر لم يستعمل هذه الغرفة الا ذوو الحظوة من الضيوف وطبيعي أن تخصصها لك لاستعمالها بصفة دائمة هو شرف كبير لأنها رفضت مراراً أن يستعملها أفراد العائلة .»

«أيعني هذا أنها تعتبرني فرداً من أفراد العائلة ؟»

«ليس هذا فقط بل تعتبرك فرداً عزيزاً من أفرادها .»

وصلت الى احدى النوافذ ثم خرجت الى الشرفة . وسرّها أن تجد نوافذ غرفتها تطل على المنزل من الورا وأن هناك شرفة واسعة ، وانسبطت تحت الشرفة ساحة خضراء فسيحة في وسطها فسقية وتناثرت فيها شجرتان أو ثلاث تضي على المكان ظلاً ظليلاً وترطب جوه . وأسعد كارولين أن تجد في هذه الساحة مكاناً مثالياً يلعب فيه فيتو . ثم سألت دومنيكو :

«هل هذا منزلك الوحيد يا دومنيكو ؟ أعني هل لديك مكان آخر خاص بك أو أنك مازلت تغيم هنا مع عمك ؟»

«عندي فيلا في الجبل اذهب اليها حينما تشتد الحرارة في المدينة . وقد جرت العمة ريما على استعمالها في هذا الوقت من السنة . ولكنها أثرت الإقامة هنا منذ وفاة فيتو لتظل الى جانب أفراد العائلة . ولم أشعر بالحاجة الى مكان خاص بي لأنني كنت دائم الترحال . كان فيتو

يرعى أعمالنا هنا ، في روما ، ولم يكن يسافر الا قليلا . أما الآن فهو لم يعد بيتنا وعلينا أن نعيد ترتيب أوضاعنا . سأضطر الى البقاء هنا لأدير الأعمال . وربما أنهت عني جيوفاني وهو ابن عمي الأصغر الذي ينتظر فرصة كهذه ليظهر فيها براعته . وفي هذه الحالة يجب أن أفكر في شراء منزل قريب من هنا ، اذا كنت لا تحبب الإقامة مع العمه رينا .»

«لا يادومنيكو ، انا أحب الإقامة مع عمتك . وكل ما في الأمر أنني فضولية .»

اتجه الى باب كانت كارولين تتسائل عما يخفي وراءه فأكد لها شكوكها عندما قال :

«هذه هي غرفتي وستلاحظين أنها ليست في فخامة غرفتك ولكن عمتي تعرف أنني أفضل الغرف البسيطة .»

احمر وجهها عندما التفت نظراتها وتذكرت الغرفتين اللتين أقاما فيها . وما ترتب على تقاربهما . وتحت صديقة أن يكف عن عادة اقتحام غرفتها في أوقات لا تتوقع حضوره فيها .

«استلق في فراشك وخذي قسطاً من الراحة وفي الوقت المناسب سأخبرك لكي تستعدي . سيحضر بعض الأصدقاء للشعرف اليك ولكن لن يبقى لتناول العشاء الا المليون . وأرى أن ترتدي الثوب الذي ارتديته في الليلة السابقة فهو جذاب للغاية .»

فأجابت :

«سأفعل وشكرا .»

لو كان الأمر في يد كارولين لما عادت الى ارتداء هذا الثوب . صحيح انه ثوب جميل الا أنه يوقظ في ذهنها ذكريات كثيرة مؤلمة . لكن ليس لها خيار . لأن الثياب التي كلفت برجييت تجهيزها لها لم تصل بعد .

استلقت كارولين على الفراش وهي تحاول النوم ، لكن ذهنها كان مفعماً بالنشاط . وطاقات عيناها في أنحاء الغرفة في تعجب فهي لم تستطع بعد أن تتخيل فكرة ان هذا البيت سيكون بيتها . لا ريب في أنه سيكون مؤقتاً ومع ذلك فهو مكان تقضي فيه بعض الوقت حتى تشعر على دورندا . وأخذ النعاس يداعب جفونها ، ثم استسلمت الى النوم .

وبعد ساعة استيقظت وهي تشعر بانتعاش . كان في استطاعتها أن تسمع وقع أقدام دومنيكو وهو يتجول في غرفته . وعندما نظرت الى ساعتها أدركت أن الوقت حان كي تتأهب لمواجهة اقارب زوجها . دخل دومنيكو غرفة نوم كارولين حاملاً عليه صغيرة قدمها اليها واذا فيها بروش ثمين جداً مرصع بالماس على هيئة وردة دقيقة الأوراق . فأطلقت صيحة اعجاب وهي مشدوهة بما تراه ثم قالت :

«لكن لا يمكنك يا دومنيكو أن تقلده .»

وأعادته اليه قائلة :

«انه نفيس جداً . خذهُ وضعه في مكان آمن ، لأنني أخاف عليه ان يضع .»

فأخرج البروش من العلبة وثبته على ثوبها فتعلاً بالانوار ، ثم

اتجهت الى المرأة لتأمله .

وتردد وهو يقول :

«أريدك أن تتقليديه يا كارولين فقد كان يخص أمي .»

رفعت يدها برقة ولمست طرف احدى وريقات الورد بأصبع
تحتيرها بها وقالت :

«خاص بأمك وتريدني أن أخذه يا دومنيكو ؟»

«نعم .»

اتجهت يده الى جيب سترته وأخرج هذه المرة علبة أخرى أصغر من
الأولى . وأمسك بيدها ونظر لحظة الى أصابعها النحيلة ووضع خاتماً
في الأصبع التي تحمل خاتم الزواج الذهبي الثقيل . وكان لهذا الخاتم
ماسة رقيقة وضعت في ذوق سليم وهو يماثل البروش تماماً قال :

«لم أشتري لك خاتماً للخطبة . ارجو ان يروقك هذا الخاتم .»

«هل هذا خاتم خطبة أمك يا دومنيكو ؟»

«نعم . هل يعجبك ؟ اذا كنت تفضلين أن أشتري لك خاتماً آخر فانا
مستعد .»

لم تتألك نفسها . فذهبت اليه ووضعت شفتيها على خذه وقد
اغرورت عيناها بالدموع وقالت :

«شكرا يا دومنيكو هذه العاطفة . سيكون لي شرف وضع خاتم
والدتك في اصبعي .»

وللمرة الاولى منذ عرفت دومنيكو خاتمه ألقاظه وامتدت يده الى
خذه وتلمس المكان الذي لمست به شفتيها لمسة خاطفة وقال :

«لماذا . يا كارولين ؟»

وابتعدت بسرعة وهي تادمة فعلا على اندفاعها هذا . فلو ادرك انها
تعبه فان خطتها تبوء بالفشل . والأمر يحتاج الى كبت المشاعر لكنها
بجوانتها جعلته يحسن بشيء من الشعور الذي تضمره له .

سمعت كارولين صوت أدلينا وهي تنادي :

«يا مدام فيكاري . حان الوقت للنزول الى الطابق الاسفل لقايلة
الضيوف .»

وردت كارولين في ارتياح :

«شكرا يا أدلينا اني قادمة .»

اتجهت الى الباب دون أن تنظر في اتجاه دومنيكو وقبل أن تصل
اليه اعترض طريقها وقال :

«يا كارولين .»

«ارجوك يا دومنيكو دعني أنزل فالعمة رينا في انتظارنا .»

«يمكنها الانتظار بضع دقائق أخرى يا عزيزتي . أود أن اكلمك .»

الذي أفرعها كلمة عزيزتي المسمى لفظها بحضان يضاهي تلك
الومضة التي انبعثت من عينيها . فصرخت :

«أدلينا ! أدلينا !»

«نعم ياسيديتي .»

«تعال لحظة فأريد مساعدتي في ارتداء الثوب .»

«طبعاً يا سيدتي .»

وبينما كان مقبض الباب يدور صاح دومنيكو :

«حسناً يا أدلينا سأعاون السيدة . قولي للعمة أننا سنزول بعد عشر دقائق .»

«بالتأكيد يا سيد دومنيكو»

تناول ذقتها بين أصابعه وأدار رأسها حتى التقت عيناها بعينه وقال :

«الآن قولي لي لماذا وضعت شفتيك على خدي في خنان دافئ؟»

رفع يده مرة ثانية الى المكان الذي لمست شفتها وكأنه مازال غير مصدق بأن ذلك حدث . وارتست على وجهه ابتسامة رضى وهو ينتظر جوابها.

ماهو التفسير الذي تستطيع أن تسوقه لتقته بأن شعورها لم يتغير ؟ ان الشيء الوحيد الذي فكرت فيه من شأنه أن يعيد الى وجهه علامات الكره والاحتقار . انه شيء يصعب عليها قوله ولكن لا بد من ذلك فقالت :

«هذا يادومنيكو هو أسلوبى في مكافأة المعجبين عندما يقدمون لي الماس ! ألم تسمع القول المأثور بأن الماس هو أحسن صديق للفتاة؟»
لم تصدق ان هذه الكلمات خرجت من فمها . وباتت تتربص حكم الادانة الذي سيصنره .

لقد بدأ كل منهما يبتدى الى الآخر بطريقة ما . فهو أبدى شيئاً من الرقة نحوها وهي من ناحيتها فتت أن يتغير ما انطبع في ذهنه عنها.

لم يحاول أن يقترب منها بل قال في هدوء:

«أيتها المتشردة الصغيرة»

فأجفلت وكأنه صدمها . وبحركة لا شعورية اضطرت أن تنظر اليه . وقف ويداه في جيبي بنطلونه وهو يميل بتكاسل على الباب وشحب وجهه الى حد ما ولكن لم يبد عليه شعور بالاشمئزاز وإنما اكتفى باظهار شعور بعدم المبالاة . لكن عينيه كانتا باردتين كثلجين يروج فيهما الألم .

وصاحت صيحة نابغة من قلبها المنالم :

«أد يا دومنيكو يا حبيبي ! لماذا أصرّ على ايدائك دائماً بهذه الطريقة؟»

ولم تهدعها نظرة اللامبالاة ولا هدوء صوته . كانت تعرف أنها أطفأت بذلك شعلة العاطفة الصغيرة نحوها . لقد جاملها عندما أعطها حلل أمه لتقلدها لكنها أورتته شعوراً بالاشمئزاز عندما أظهرت جشعها وطمعها وهي تتقبل هديته . لا بد أنه بات يمتد فكرة تقلدها لحلى والدته . لكن دومنيكو معروف بأنه لا يسترد هدية متى قدمها.

وبحركة تلقائية اتجهت نحوه ملتصقة منه أن يصفح عنها . وكان في وسعها في هذه اللحظة أن تصارحه بالحقيقة الكاملة وتقول له أنها لم تعرف أبداً أي رجل من قبل وأن الماس الوحيد الذي تمتلكه هو الماس الذي تلقته منذ لحظات وانها احبته لا لقيمتة المادية بل لأنه هو الذي أعطاه لها ولكن قيل أن تجد الكلمات المناسبة لتعبر عن ذلك بأدورها قائلاً :

«إذا كان يرضيك أن تعرفني هذه الحقيقة . فقد كدت تهدعيني عندما جعلتني أفكر في أنني أخطأت فهمك .»

وكان انتفاء الغضب في صوته نتيجة طبيعية لتحكمه في شغفه ومحاولته اخفاء ما في عينيه من مرارة.

واستطرد قائلاً :

«لا بد أن أعترف أنني عندما ذهبت الى انكلترا لأبحث عنك توقعت أن أجد فتاة أقضي معها وقتاً طيباً وتستجيب لمطالبتي، وعلى هذا الأساس تصرفتي. ولكن عندما رأيتك وبدأت أعرفك أكثر - على ما أعتقد - كنت من الجمافة بحيث شككت في حكمي وتقديرِي، فخالفت طبيعتي وانجذبت اليك لأنك فتننتي.»

واضاف :

«وفي باريس اقتصعت بأنك لست من الفتيات اللواتي يطاردن الرجال من اجل المال. ولأسباب خاصة بك تعمدت اعطائي انطباعاً خاطئاً قائماً عن أخلاقك.»

ثم اعترف بصراحة قائلاً:

«في الحقيقة تأملت من طريقة معاملتي لك تلك الليلة. وفي الصباح التالي استطعت بصعوبة أن أحمل نفسي على النظر اليك بسبب ما شعرت به من اجتنار ذاتي. ولكن الآن...»

وأسرع نحوها وأمسك بكتفها وقال:

«والآن في روما اكتشفت حقيقتك. امرأة بلا شرفاً، مرتزقة رخيصة، تفعلين كل شيء في سبيل الحصول على أقصى ما يمكن من رجل بلغ به الغياء حداً جعله يصدق ما تظهرينه من سذاجة وطيبة ينسابان كالسياب الماء من الصنبور. رجل بلغ به الغياء حداً جعله يفكر في أن

امرأة مثلك تصلح لأن تعيش في قلب هذه الأسرة وتلقى المحبة والاحترام من سيدة لا تستحقين حتى شرف السير في ظلها...»

لم يرفع صوته مرة واحدة لكن كلماته المريعة كانت جلية وواضحة. لم يحاول أن يحجبه أو تبسره نفسها. ارتضت كل اتهاماته بلا اعتراض وهي تعلم أن محاولة مقاطعته لن تجدي نفعاً. ألم تكن هذه هي النتيجة التي حاولت أن تحفلها؟ ألم تحاول هي عمداً أن تحرضه على نفسها لتصل الى هدفها؟ لم تشك مطلقاً في أنها نجحت وكان نجاحها كبيراً. فلا داعي للخوف من أن يعود دومنيكو الى ملاطفاته المفرطة ولا خوف من أن ينفذ سحره اليها. لقد احتضرها. وهي ألمته كثيراً حتى انها لن تحتاج لمحاولة منعه من مغازلتها فهو لن يفعل ذلك بعد اليوم. وقفت بقامتها المشوقة النحيلة في ثوب السهرة المترف الذي تحبب يافته بوجهها. لقد ارتضت كل ما قاله لها دون أن تصدر عنها أي حركة فاغتاط لخدونها وضغط بأصابعه التي كانت تنخرس في لحم كتفها الناعم ضغطاً شديداً حتى بات الألم غير محتمل. فتأوهت لهذا العذاب الذي فاق طاقاتها، وخفف من قبضته قليلاً دون أن يدعها تذهب.

«أجيبيني بصراحة...»

أخذ دومنيكو يقضم هذه الكلمات وكان وجهه منحوت من صخر أما هي، فانتاب حلقها تقلص هدهداً بالاختناق، قايلت ريقها بألم وأمكنها أن تهس قائلة:

«لو أمكنتي.»

«هل أحببت فيتنو؟ ألم أنه كان هو الآخر رجلاً أحق سهل خداعه ووقع في شركك؟»

ولم تعرف بلذا تعجب. وترددت وهي تحاول أن تجمع شتات أفكارها لكنها تأخرت في الرد كثيراً. وأدار لها ظهره وقاوم حدة انفعاله الشديد ولم يجرؤ هي أن تتحرك أو أن تتكلم إذ كانت تعلم أن انفعال دومينيكو سيكون عنيفاً ولكنها ما كانت تتصور مقدار سخطه.

وأخيراً عندما التفت إليها كان قد قالك نفسه من جديد.

خففت عينها تنظر إلى السجادة تحت قدميها. فأبى مكان تنظر إليه خير من مواجهة الأزدياء الواضح في عينيه. وانتظرت حتى قال لها:

«في هذه اللحظة لا أستطيع أن ألمسك ولكن تذكرني هذا يا كارولين. في الماضي، كنت تنظفين ثمن خدماتك. حسناً لقد دفعت الثمن من شرفي واسم عائلتي وبدرجة أقل من حلي والدتي. وما كانت والدتي تتصور أن تتقلد امرأة مثلك هذه الحلي. وأضاف:

«في نيتي أن أجعلك تدفعين الثمن غالباً لحماقتك. قد يمضي بعض الوقت قبل أن انتقم لكنني سأفعل استعدادي منذ الآن.»

لم ترفع عينها عن السجادة أثناء حديثه فقد كانت خائفة إلى أبعد حد لأن صوته دلّ على أنه صادق في وعيده. وتحولت زرقة السجادة إلى بحر جياش يهدد بابتلاعها في دواماته. فجذبت نفساً عميقاً وأجست بأن الأرض من تحنها عادت إلى استقرارها هنيئة وبشجاعة فائقة

رفعت رأسها ونظرت إليه نظيرة احتقار وقالت:
«لو تجرأت على لمسي يا دومينيكو فسأقول كل شيء لعصتك. لقد كنت راغباً في منذ أن التقينا للمرة الأولى وكنت غاضباً من أجل ذلك. إنك تكره نفسك بسبب انجذابك لامرأة أنت تحتقرها. واجه الحقيقة.»
وأضافت في تحد:

«أنك لا تحتفرتني، بل تحتقر نفسك وتريدني أن أتعذب بسبب ذلك. لكنني لن أسمح لك بأن تجعلني عبدة لزوجاتك.»

ونداعى صوتها بينما تحلّت عنها شجاعته وعصفت على شفتيها السفلى لتوقف الرعدة التي سرت في وجهها.

ونظر دومينيكو إليها وطلب حاجبيه الأسودين وقال:

«سيري يا كارولين... سيري.»

كانت لتهم لو أنهم لم يرحبوا بها لأنها لا تزال متأثرة مما حدث منذ لحظات . زرعت تلك التجربة في نفسها الثقة والهدوء .

بدأ الضيوف غير المدعوين الى العشاء بالانصراف وسرعان ما خلت الغرفة من الموجودين عدا أفراد العائلة المدعوين لتناول العشاء . وأخذت العمة ريما تقودهم الى غرفة مجاورة أصغر حجماً مدت فيها مائدة ضخمة .

وعندما اطأنت العمة الى أن كل فرد اتخذ مكانه أعطت الإشارة لتقديم طعام العشاء . وجلس دومنيكو الى يمين عمته وجلست كارولين الى يسارها في مواجهته . وظل المقعد الذي يجاوره خالياً ورأته يلتقط البطاقة الموضوعة على المائدة أمام المكان الشاغر . وعندما قرأ الاسم المطبوع عليها رفع حاجبيه مستفسراً من عمته في صمت . فأجابته بهزة من كتفها وبلا ميالة وبشيء من العبوس والضيق . وتساءلت كارولين ثري من يكون ذلك الشخص الغائب . والتفتت لتسأل الشاب الذي كان يجاورها والذي انضح انه جيوفاني ابن عم دومنيكو الصغير . ولكن قبل أن تتاح لها فرصة توجيه السؤال اليه فتح باب غرفة الطعام واندفعت منه فتاة تضحك وتعتذر وفي أثرها رجل يدا عليه أنه يفضل أن يكون في هذه اللحظة في أي مكان آخر غير هذا المكان المقيّد بالشكليات.

وامسكت كارولين أنفاسها كما فعل باقي أفراد العائلة عندما اتجهت أبصارهم الى جمال الفتاة الأخاذ وقد توقفت لحظة تلوح بابتهاج

٦ - كنديدا

وصلا الى باب الصالون الكبير حيث تقام الحفلة لحظة وصول أول الضيوف . وتفتت العمة ريما الصعداء وحيتها متلهفة قائلة : «ها أنتما أيها العزيزان . كنت أخشى أن أضطر الى تقديم اعتذاركما الى سيوفنا» .

ومدت العمة ريما يدها الى كارولين وهنفت : «ما أجمل زوجك يادومنيكو . سيحسدك كل الأقارب هذا المساء» . والتفتت الى كارولين وقالت :

«أرى أنك زرت صديقتي العزيزة بريجيت عندما كنت في باريس فهي وحدها القادرة على اختيار الثوب الملائم» .

وقادتنيها الى الصالون سريعاً ووفقاً عند مدخله ليكونا أول من يحضري الضيوف عند وصولهم .

أخذ دومنيكو يتقبل تهاني أصدقائه وأفراد عائلته . أما كارولين فقد صافحت مجموعة كبيرة من العمات والأعمام وأبناء الأعمام . وشعرت بأنهم جميعاً كانوا مسرورين بانضمامها الى العائلة . وما

لمجموعة أفراد الأسرة قبل أن تندفع إلى العمة رينا وهي تقدم اليها اعتذاراً عن تأخرها .

«معذرة يا عمتي العزيزة لسلوكي . كنت أنوي أن أحضر في الوقت لأنني أعلم أنك تكرهين الانتظار وقد جئت على عجل .»

ثم التفت الفتاة إلى دومنيكو ، وكان قد وقف مثلها فعل الآخرين عندما ظهرت هذه الفتاة ، وألفت بذراعيها حوله وهي تصيح :

«دومنيكو يا عزيزي دوم كم افتقدتك !»

وشعرت كارولين بألم مفاجئ بسبب ما انتابها من انفعال وهي تراقب ما يحصل ، ولم تكن لتعرف بأن هذا هو شعور بالغيرة ، ولكنها أحست بكراهية تجاه الفتاة وقد ارتدت ثوباً خليعاً في لون اللهب المتقد وألفت بذراعيها حول دومنيكو .

وبدا أن دومنيكو استمتع بذلك ، فابتسم لها وامسدت يدها إلى خصرها النحيل وهو ينحنى عليها .

وارتفع صوت العمة رينا :

«كنديدا ! أنت متهورة دائماً ! أرجوك أن تقدمي صديقك ال الضيوف .»

فردت قائلة :

«أد اني أسفة يا عزيزي جيفري . يسعدني أن أقدم جيفري غراهام إلى الجميع . وسأقدم يا جيفري كلا منهم على حدة فيما بعد.»

وابتسم الشاب الأشقر الشعر ابتسامة ساخرة وانحنى قليلاً بحياء

الجميع وتقدم إلى المائدة ليقابل المضيفة ، وتتم بعبارة اعتذار رينا ابستت له العمة رينا ابتسامة باردة وأوضحت له أن جميع الأماكن التي في مقدمة المائدة مشغولة ، وأنه لن يستطيع الجلوس في جوار صديقه .

وبدا الجميع يتكلمون متجاهلين هذا الحادث المخرج ملين أكثر من نظرة تأمل في اتجاه كارولين بينما استغرقت في الطعام . وحاولت أن تبدو طبيعية وتحدثت مع جيوفاثي الذي كان ينظر إليها في إعجاب .

عاملته بلطف لا لأن هناك شيئاً كبيراً بينه وبين دومنيكو قبل أن يكتسب هذا المظهر الخادع المصطنع . وحاولت أن تنسى كيف أشرفت عينا دومنيكو عندما شاهد الفتاة التي تجلس في مواجهتها .

نقلت العمة رينا نظراتها الحائرة بينه وبين كارولين لاحتساسها بالفجور الذي كان بينهما ، وازداد ضيقها عندما لاحظت أن دومنيكو لم يحاول أن يشرك كارولين في حديثه .

وكنديدا

لم تبد اهتماماً بأي شخص سوى دومنيكو ورغم أنها تعرف الغرض من العشاء الذي أقيم بمناسبة انضمام كارولين إلى العائلة .

وبتصميم ، قطعت عليها العمة رينا حديثها ، ورفع دومنيكو رأسه من وجه رفيقه عندما سمع نبرة اللوم غير المألوفة في صوتها . «دومنيكو ، أنت لم تقدم كنديدا إلى كارولين حتى الآن . وستظن أننا كعائلة نجهل آداب السلوك جهلاً تاماً . هل تتولى الأمر بنفسك أو

أتولاه أنا ؟

وكان استيائها واضحاً ، لكن دومنيكو لم ينزعج بل ابتسم كأن شيئاً لم يكن وقال :

«أسف يا عزيزتي لكني لم أر كنديداً منذ وقت طويل ولدينا أصدقاء كثيرون نعرفهم ونحدث عنهم . معذرة .»

والقى على زوجته نظرة خاطفة عبر المائدة فيها تحذير من الظهار أو روح عدائية ، وتولاه شعور بالرضى عندما بادلته النظرة برباطة جأش «إن كنديدا بنت عم بعيدة جداً لكنها دائماً كانت المفضلة عندي بصفة خاصة . لعبنا معا ونحن أطفال : هي وفيتو وأنا ولم نكن نفترق .» والتفت الى كنديدا قائلاً :

«أحب أن تلتقي كارولين وأمل أن تصبحا صديقتين .»

ابتسمت كنديدا بعد عشاء ولم تلبث أن انحرفت الى زاوية فمها عند تقديم كارولين اليها وقالت :

«لا شك يا دومنيكو أننا سنكون صديقتين . فأحب شيء الى نفسي هو أن أتعرف الى زوجتك . ويجب بعد العشاء يا كارولين أن نرتب موعداً لذلك الى أحسن الأماكن التي تشتريين منها احتياجاتك . وببساطة يجب أن تقابلي أصدقائي . انهم جميعاً يتطلعون الى مقابلة الفتاة التي فازت بأكثر عزاب روما مراوغة .»

قالت كارولين في ازدراء :

«لعله كان قد سئم مطاردة الفتيات عندما فزت به .»

وكان التركيز على قولها كافياً ليشير بوضوح الى احتقارها للنساء اللواتي ركضن خلفه ، واحمر وجه كنديدا غضباً اذ أدركت ما تعنيه .

وكاد جيوفاني يختنق وهو يتناول الحساء عند سماعه رد كارولين . ولقت الانظار اليه وهو يحاول التحكم في توبة السعال التي انتابته . وكانت كارولين مسرورة وهي تمد اليه يد العون وتجنبت أن تدخل مرة ثانية في حديث مع دومنيكو أو كنديدا طوال الفترة الباقية من تناول العشاء .

وبدا لكارولين وكأن طعام العشاء انتهى بعد ساعات طويلة . وجلس أفراد العائلة المسنون في مجموعات هنا وهناك متخفين من الطعام يثرثرون . أما الشباب منهم فبدأ الملل يتسرب اليهم فاقترح أحدهم أن يدير جهاز التسجيل في الصالون الصغير الذي كان كثيراً ما يستعمل للرقص . وقوبل الاقتراح بحماسة وهرع الجميع الى الخارج .

كانت كارولين تجلس مع العممة رينا ومن هم في سنها تحاول أن تقاوم أغراء البحث عن دومنيكو الذي ظل الى جوار كنديدا منذ أن انتهى طعام العشاء . وبدأت تشعر بغضب شديد اذ أصبح واضحاً للملأ أنه كان راضياً قاماً عن صحبة ابنة عمه الجميلة متجاهلاً زوجته . ورفعت بصرها في ارتياح عندما اتجه اليها جيوفاني وقال :

«هل ترقصين معي يا كارولين ؟»

فأداه الى الصالون الصغير حيث استغرق بقية أفراد الأسرة في جو

من المرح ودفعها الى حلبة الرقص . كان راقصاً ممتازاً يعشق موسيقى الرقص القديم . تجنبت النظر الى الفتية وهم يرقصون ملتحفين . لم تشأ أن تتذكر سعادتها عندما رقصت للمرة الأولى مع دومنيكو في الليلة التي قضياها في باريس برغم حنينها الى ذلك .

انتبه جيوفاني عندما شعر بيد تربت على كتفه . وهشت كارولين عندما رأت جيفري غراهام الرجل الذي جاء مع كنديدا قال :
«أيمكنني أن أعترض سبيلكما ؟»

لم يكن جيوفاني راضياً لكنه تحلى عن مكانه في هدوء وترك الرجل الانكليزي الأشقر يصطحبها الى حلبة الرقص ويقول :

«هل تمانعين ؟»

وتلحمت قاتلة :

«لا ، لماذا ؟»

تغيرت الموسيقى من اللحن البطيء الى الحفقات السريعة للحن بدائي لاتيني ، واستسلمت للموسيقى وتبعت قدميه بلا خطأ . جذبا اليه أكثر فأكثر عندما أسرع الموسيقى . ثم بلغت الذروة باصطدام صنجات الموسيقى ودقات الطبول فأخذ يدور بها حتى أصيبت بهوار ثم سقطا ضاحكين على أريكة مريحة قرب حلبة الرقص . ودون تكلف مدت يدها وهي مازالت تضحك وقالت :

«شكراً يا جيفري . كان ذلك رائعاً»

ورفع يدها الى شفتيه وقبلها . ووضح اعجابه بها وهو ينظر الى

وجهها المنعم بالحوية .

وفجأة كأن سحابة حجبت الشمس فزالت الاشراف من عينيها وبدأ الاعمار يغمر وجهها الجميل في بطن . نظر جيفري يبحث عن سبب هذا التغير السريع فوجد دومنيكو يحنق فيها غاضباً فنهض سرعاً ونكلم هو قبل دومنيكو وقال :

«يجب أن أهنئك يا سيد فيكاري . إن زوجتك رائعة في الرقص»
ورد دومنيكو ببرود واضح قائلاً :

«ليس هناك ما أجهله عن زوجتي لتأتي انت تطلعتني عليه .»

لم ينضايق جيفري فقد اعتاد على الأزواج الغيورين بل انهم لدومنيكو معتاداً وانجه الى حيث وقفت كنديدا على بضعة أقدام من دومنيكو .

تأملت كنديدا جيفري وهو يسير تجاهها بتؤدة وقالت :

«لماذا لا تنصرف تصرفاً حسناً يا جيفري ؟ هل يجب أن تظهر مع كل امرأة تثق بها ؟ اني لا أعرف ماذا يعجبكم ايها الرجال في مخلوقات نافهة كهذه»

«انك تحفدين عليها بلهاها الرائع أنني احسد الرجل الذي تزوجها»
نظرت اليه في غضب وانفضت لتسير في اتجاه دومنيكو . لكنها تأخرت فقد كان دومنيكو يرائص زوجته فنظرت اليها وهما يختفيان وسط الحلبة في واحة من الفراغ حيث يستطيعان التحدث دون أن يسمعهما أحد . قال دومنيكو :

«ماذا تعنين بسلوكك؟»

«ماذا تقصد؟»

«هل لا بد أن تقومى بهذا الاستعراض أمام عائلتي ومع رجل غريب؟»

«كيف تجرؤ على اتهامى بأن سلوكى محز بيتاً كنت تنصرف طوال السهرة كمراهق يعلم بابتنة عمه البعيدة جداً. لكنى لاحظت الليلة أنها ليست بعيدة إلا بالقدر الذي اردته أنت. وفي الحقيقة لا يدعشني أبداً أن أعرف أنها لم تكن بعيدة عنك في الماضي.»

«ذلك خطأ لا يفتخر.»

وتأملت عندما ضغط عليها بذراعيه وشعرت بحدة انفعاله وهو يقول :

«كنتيدا كانت وستظل دائماً صديقة عزيزة ، وهذا كل ما في الأمر. كيف تفكرين في غير ذلك ؟ ألم تعرض عليك أنت أيضاً صداقتها؟ جذبت كارولين نفساً عميقاً وتعجبت للذراع الرجال عندما يتعلق الأمر بامرأة . ثم نظرت اليه باحتقار قائلة :

«انني أفضل مضادقة الأفعى.»

وارتعت عضله في وجنته وأدركت أنها بالغت في قناديها . لقد كان وقياً لعائلته ومتعصباً لها وهي أهانت أحد افرادها ولكنها لم تبال . أرهقت الليلة أعصابها الى حد لا يطاق . فتورة الغضب التي نشبت في غرفة نومها ثم المتاعب التي واجهتها عند تناول العشاء ، كل ذلك

كان أكثر مما يمكن احتاله وها هو يتهمها بشيء كان هو السبب المباشر في حدوثه . لقد اعتبر وقصة بريئة مع غريب سلوكاً مخزياً برغم أنه كان قبلة الأنظار لاهتمامه الواضح بابتنة عمه الدخيلة . ومع ذلك ، فقد كانت لديه الواقعة ليلومها وكأنها ارتكبت جريمة شنعاء .

قال لها :

«لا بد أن تعنفنى لهذا العرض الطفولي المخزى.»

وصدته قائلة :

«لن أفعل أبداً.»

شعرت كارولين بارتياح وهي ترى كنتيدا وجيفرى يقبلان نحوها فقد لاحظت كنتيدا اشتارتها المنفعلة في اتجاه جيفرى وحينما وصلت اليها ردت عليها بابتسامة قائلة :

« ألا نيلل رفاننا يا عزيزي دوم ؟ فتحن لم نرقص سوياً منذ أشهر وانتي لوانفة من أن زوجتك لا تقانع في الرقص مع جيفرى ثانية.»

تجنب كارولين الاجابة وانسلت متلهفة من بين يدي دومنيكو الى جيفرى قبل أن ينتبه الى نيتها. وعندما بادلتها كنتيدا المكان ارتسمت على وجهه ابتسامة متجهية . كانت تعرف أنه يكره اظهار غضبه على مرأى من الجميع ، أما بالنسبة الى ما يحدث بعد ذلك فلا حاجة للتكبر فيه الآن .

وشارفت الحفلة على الانتهاء وأخذ المدعوون ينصرفون الواحد تلو الآخر .

«نعم... أعتقد ذلك.»

«من الواضح أن الأمور ليست على مايرام بينك وبين دومنيكو. فلا تكلفي نفسك عناء الإنكار! لقد صادفت عدداً كبيراً من الزيجات غير السعيدة.»

ثم رمفها بنظرة حادة وقال:

«إن كنتيدا غائبة لعوب وستفعل كل ما في وسعها لتحصل على دومنيكو.»

وأدركت من نظراته أنه كان يحسب كنتيدا ولم تكن تريد. فأسكت بذراعه برفق وحنان وجلسا غارقين في أفكارهما. استطرد جيفري قائلاً:

«مهما بلغ الأمر بينكما فإني أنصحك بأن تحاولي إصلاحه في أقرب فرصة إذا أردت الاحتفاظ بدومنيكو. وبالنسبة إلي فأسأفعل كل ما في وسعي لامتعها من الهادي.»

رجفت كارولين قليلاً وجذبها لتهيض وحشها على العودة إلى المنزل وسارا تجاه النافذة ليدخلا الغرفة حيث تركا كنتيدا ودومنيكو. وكادت كارولين تدخل لولا أن جيفري أمسك بذراعها وجذبها إلى حيث لا يراها الشخصان اللذان كانا مستغرقين في الداخل.

لم تكن كارولين تنوي التنصت، الدهشة جعلتها تصمت. ثم نظرت عبر النافذة فاضطرب قلبها وكأنه انقلب رأساً على عقب. كان ظهر كنتيدا تجاهها ووجه دومنيكو بين يديها وقد ثبت عينيه

قاد جيفري كارولين إلى الشرفة ثم سارا بين الأشجار إلى حديقة منخفضة فيها مقاعد على مسافات ملائمة. وغاصت كارولين في أحد المقاعد وتنهدت بارتياح وأخذت تتأمل جمال الحديقة التي غمرها خيز القمر.

اقترب منها جيفري فصدته وقالت:

«لا يا جيفري.»

فهز كتفيه بلا مبالاة ورفع ذراعه قائلاً:

«ولم لا؟»

«لأنني لا أبحث عن علاقة غير شرعية. أستطيع أن أهديك صداقتي. لكن إذا لم يكن ذلك كافياً فمن الأفضل أن تذهب.»
«هل تظنين أن كنتيدا ستقدم لزوجك صداقة؟»
«كلا. لا أعتقد ذلك.»

«أه يا كارولين أينها الحساء الصغيرة ألا تعرفين نيتها؟ إن الغيرة تكاد تأكلها لزوجك من دومنيكو. فبمذ سنوات وهي تعتبره ملكاً خاصاً بها. وهي لن تدع شيئاً نافها مثل زوجته ينفذ في طريقها.»
«هل تظن أن دومنيكو يحبها؟»
«هل تعتقدين أن زوجك يحبك؟»

وأدركت ولكن بعد فوات الأوان أن قدمها انزلقت فقد كان جيفري ينظر إليها في دهشة بالغة منتظراً إجابتها. فتمتصت قائلة:

على وجهها. وكانت تصكلم في الحاح قائلة:

«لماذا فعلت ذلك يا دوم؟ اننى أعرف أنك كنت ولا تزال تحبني يا
وحدى! لماذا تزوجتها؟»

ولم تنتظر اجابته لكنها ألقت بذراعيها حوله وراحت تبكي.

لم تعد كارولين قادرة على متابعة ما يحصل. اشاحت ببصرها عن
النافذة وانسلت عبر نافذه غرفة الطعام وهرولت الى غرفتها.

٧ - حوار مع العمّة

استلقت كارولين على مقعد في الشرفة ممسكة بقلم بين أصابعها
واستقر على ركبتيها دفتر لكتابة الرسائل، بينما كان الطفل فيتو يلهو
تحت ظل شجرة كبيرة بالدمى التي اشتراها دومنيكو.

ومنذ ليلة الحفلة وهي لا تكاد ترى دومنيكو، فالعمل، تراكم في
غيابه والعبء تضاعف عليه لأن فيتو لم يعد له وجود ولكنها كانت
تعتقد بأن لديه وقت فراغ، يمكن ان يمضيه معها.

كان يقوم بزيارات خاطفة الى منزله كل مساء ليستحم ويبذل
ملاسه ثم الى الخارج، كان يبكر في الخروج الى العمل كل صباح
قبل أن يستيقظ أحد في المنزل ولم يكن يعود حتى الساعات الأولى
من صباح اليوم التالي. وفي المرات النادرة التي قابلته فيها اكتفى
بإلقاء نظرة خاطفة وتحيّة موجزة دون أن يبدي أي اعتذار عن غيابه.

واستبته بالعمّة رينا غضب شديد، وأرادت أن تعرب له عن
احتجاجها على إهماله لأسرته، لكن كارولين أثنتها عن ذلك، فهي
أيضاً كانت في حاجة الى فسحة من الوقت تحذو فيها موقفها وتقرر

كانت واثقة من شيء واحد فقط هو أنها يجب أن تهرب بعيداً إلى حيث تنعم بالراحة ، وحيث يتعذر على دومنيكو الاهتمام إليها . ولكن ينبغي عليها قبل كل شيء أن تعثر على دورندا فلوجدت ذلك لأمكنها أن تصارح دومنيكو بالحقيقة وعندئذ يصبح حراً في الذهاب إلى كنديدا . وطردت الأفكار التي راودتها في تلك الليلة عندما اكتشفت أنها يتبادلان الحب . ومنذ ذاك الحين استسلمت إلى قدرها المحتوم وارتضت حقيقة الحلم الحزين الذي طالما قنته ، وهو أنه لا بد أن يجيء يوم يجتئها فيه دومنيكو ويطلب منها البقاء ، حتى بعد أن يقف على الحقيقة . لقد أحسنت تقمص دورها أكثر مما ينبغي ولا سبيل إلى تغيير الرأي الذي كونه عنها ، خاصة في الوقت الراهن وكنديدا إلى جانبه لتواسيه .

التقطت دفتر الرسائل وبدأت تكتب . كانت الرسالة الأولى موجهة إلى السيد ولكن ترجوه الاستعانة بشخص يقوم بالبحث عن دورندا وأوضحت له حاجتها الملحة إلى ذلك راجية إياه ألا يلتبس أي عذر يشبه عن البحث عنها .

بعثت بالرسالة الثانية إلى جين وقد احتاج هذا منها إلى مجهود أكبر وتفكير أعمق . ففي المدة التي سبقت زواجها كتبت إلى جين رسالة موجزة تبلغها فيها تياً رحيلها المفاجيء من انكلترا دون أن تتطرق إلى التفاصيل . ووعدتها بأن تكتب إليها بتفصيل أكبر عندما تستقر .

لكنها لا تعرف الآن من أين تبدأ وغماً لمحدثها . لقد كانت جين على قدر كبير من الذكاء ، كما أنها لم تكن راغبة في خداعها إذ سمعت أن تستمر في الخداع الذي اضطرت إلى اعتياده منذ زواجها ، وهي لم تكن تنوي أن تكذب على جين . وفي الوقت ذاته لم تكن تستطيع التوسع في رواية هذه القصة القريبة من الخيال دون أن تقضح أمر دورندا . وعظت على قلبها وهي تفكر فيما تكتبه وما تتركه . وأرضت نفسها بأن تكتب رسالة مريحة لا تقضح حقيقة ما تعانيه ، ووعدت صديقتها بزيارة في أقرب فرصة لتقص عليها التفاصيل . ووضعت الرسالة في مظروف أغلقته سريعاً قبل أن تغير رأيها راجية أن تعالج بذلك قلق جين إزاء زواجها المفاجيء من رجل لم تكن قد سمعت عنه .

سمعت وقع خطوات فاستدارت وإذا بالعمة رينا آتية من الداخل لتجلس معها في الشرفة . كانت تزور إحدى صديقاتها وبدأ عليها الارهاق ، كما هي حالها كلها اتعبت نفسها .

وبادرت كارولين إلى مساعدتها على الجلوس إلى جانبها ، وغابتها برقة قائلة :

« يا عزيزتي أرجو أن تأخذي قسطاً أكبر من الراحة ونطبعي أوامر الطبيب فأنت تبدين مجهدة . اجلسي لتسترخي وسأناذي إيمانويل ليحضر لك شرباً منعشاً . »

وقبلت العمة رينا اقتراحها شاكرة وجلست وقالت :

« شكراً يا كارولين فما أجهل ذلك . انك تبغين الطمأنينة إلى قلبي . »

ثم أمسكت بيد كارولين ورمقتها بنظرة حنان . واغرورت عينا كارولين بالدمع . ما أسعدها بحب هذه السيدة العجوز .

«لماذا ترهقين نفسك يا عمتي رينا ؟»

«لماذا ؟ لست أدري . أنني أجد الراحة مستحيلة . وعلىّ دائماً أن أفعل شيئاً ما أو أذهب إلى مكان ما.»

وأضافت :

«أظن أن السبب هو أنني لا أستطيع الكف عن التفكير في ابني . لو أستطيع أن أعرف ماذا حدث له وكيف لقي حتفه وفي أي مكان . فلعلني كنت أجد في ذلك بعض الراحة.»

اتجهت إليها كارولين وأمسكت بيدها تضغط عليها في عطف . فقد شعرت بعجزها عن تخفيف آلام هذه السيدة . كانت هذه هي المرة الأولى التي تتخلل فيها عن الدرع الذي وضعته حول نفسها تحمي به قلبها ذكر اسم فيتو . ولم تعرف كارولين كيف تتصرف . سألتها برقة :

«هل يريحك أن تتحدثي عنه ؟»

«لا أظن أن هناك ما يجلب لي الراحة.»

وبعد فترة صمت بدأت العمة تتكلم عنه قائلة :

«كان ابننا الوحيد طالما دعونا الله لأن يرزقنا طفلاً . فلما من الله علينا به فرحنا به كثيراً واكتملت سعادتنا أخيراً عندما جاء دومنيكو ليعيش معنا . وكان الولدان وسيمين وكنت أشعر بالفخر كلما زارني

أمهات الفتيات اللواتي كن يصحبانهما إلى الحفلات ويبدن إعجابهن بسلوكهما . وبقيت سنوات طويلة وأنا أأمل أن أراها يأتيان إلي ليخبراني بأنهما قد اختارا زوجتيهما . وهو أمر كنت أخشاه في الوقت نفسه.»

ومضت تقول :

«كم كان يسعدني أن أرى فيتو مع زوجة مثلك يا عزيزتي . ولكن ذلك أصبح مستحيلاً الآن.»

جفت عينيها واستطاعت بعد استجماع شجاعتها أن تبسم وصمتت على أن تنفض عنها الكأبة التي استولت عليها.

سألتها كارولين :

«هل كان هناك شبه بينهما ؟»

«كان الشبه بينهما كبيراً . فهما من آل فيكاري لكنهما كانا على طرف نقيض من حيث المزاج . كان فيتو أكثر تقلباً من دومنيكو إلا أنني أعتقد أحياناً أن وفاة والد دومنيكو ووالدته كانت السبب المباشر في كآبته . كان يحبها كثيراً وطبيعي أنه كان يتذكرها ويتذكر الأوقات السعيدة التي قضاها معها . بذلنا أقصى ما في وسعنا لنحل محلها . وهو أمر لا أعتقد أننا نجحنا فيه كل النجاح . وحتى الآن لا يزال دومنيكو حتى في أسعد لحظات حياته يتحدث بعينه عن شعوره بفقدان والديه.»

وبعد تردد قليل قالت :

«أمل يا عزيزتي أن تنجحي أنت حيث فشلت أنا وأن تتمكني من تهديد أحزانه الى الأبد».

واسترعى الطفل فيتنو انتباهها عندما سقطت منه إحدى لعبه وما أن سمعتا صوته الحزين حتى وثبتا لمساعدته . لم يلحق به ضرر لكن العمة رينا التي كانت تتلمس الفرص للاهتمام به دون أن تبدو وكأنها تدللّه ، حملته بين ذراعيها وعادت الى مقعدها في الشرفة . كانت كارولين تهتم بمصارحة العجوز بأحزانها ومخاوفها لكن جرس الباب رن فاسرع اليه ايمانويل ، ثم حدثت جلبة قصيرة أثارت فضولها فنهضتا لاستجلاء سبب ذلك ووجدتا أكواماً من الصناديق وايمانويل يقوم بصقها في إحدى الزوايا مع رجل آخر . وشهقت كارولين عندما عرفت أن ملابسها وصلت من باريس وقالت للعمة رينا وهي تستدير نحوها :

«لا بد أن في الأمر خطأ ما ، لأنني لم أطلب كل هذه الملابس ! ولا بد أن أوضح الأمر للحمال .
لكن الحمال صمم على رأيه قائلاً :

«إن كل صندوق وارد في القاتورة وليس ثمة خطأ يا سيدتي فكل هذه الظروف لك .»

نظرت الى الكمية المذهلة من الملابس . كانت قد طلبت ستة فساتين للصباح وثوبين للمساء وبعض الملابس للشاطئ . وبعض الملابس الداخلية وغيرها للسهرة . وهذا كله قليل بالنسبة الى الكمية

الهائلة التي وصلتها والتي ستضيق بها خزانه ملابسها الضخمة .
ثم تذكرت أنها غابت فترة عند مصفف الشعر وتركت دومنيكو ويريجيت وحدها . لا بد أنها تأمرا عليها في هذه الفترة ، ولا بد أن دومنيكو هو المسؤول عن هذا التمييز .

نقل ايمانويل الصناديق الى غرفتها . وبدأت تفتحها وهي تقاوم مشاعرها بينما أخذت العمة رينا تبدي اعجابها في مبهكات ويريجيت .
أبقت كارولين صندوقين كبيرين الى النهاية ولما فتحتها أسعدها أن تجد في أحدهما فرواً دخاني اللون ، وفي الآخر ثوباً من الفرو الأبيض الغالي الثمن الذي بدا وكأنه مصمم لأحدى الاميرات .
وعقدت الدهشة لسان كارولين . وربت العمة رينا على يدها بركة وضحكت لما رآته على وجهها من امارات الدهوى والدهشة ثم قالت :

«أرى أن هدايا دومنيكو أسعدتك ...»

«آه يا عمتي رينا ! لا بد أنه دفع ثمناً كبيراً لها ، فلم أر في حياتي ملابس بهذا القدر ولا حتى في محلات الأزياء . انني أكاد لا أصدق أنها لي . متى سأرتديها جميعاً ؟»

«ستتاح لك الفرصة لارتدائها يا طفلي ، كزوجة أحد رجال الأعمال البارزين في روما إذ يشتم عليك أن تقيمي المآدب وتقبلي الدعوات ، فلا تخافي . لن تلبسي أن تسامي هذه الثياب عندما تجددين نفسك في دوامة الحياة الاجتماعية . ومرة أخرى أقول انك مدينة لدومنيكو لأنه جعل منك واحدة من اكثر السيدات اناقة .»

وتناولته قائلة :

«ألو؟»

«كارولين؟ أنا جيفري . هل أنت مشغولة الآن . إذا لم يكن لديك أي عمل فهل تأتي ؟ أكاد أجن من الملل ، وأحتاج إلى من يؤنسني .
ولا يا جيفري لا أعتقد ذلك .»

«ولم . هل أنت خائفة مما قد يقوله سيدك ومولاك ؟ ان السبب الوحيد للفراغ الذي أشعر به هو أنه سرق مني فتاتي المفضلة . كلما طلبت رؤيتها اجابت بأنها ستقابل دومنيكو .»

«أسفة يا جيفري فلدي أشياء كثيرة تشغلني الآن ولا أستطيع الخروج معك .»

ولم تستجب للصوت الذي كان ينادي في داخلها ان دومنيكو يمتع نفسه فلم لا تفعل هي الشيء نفسه . أرادت أن تكون في المنزل هذا المساء لتشكره على هداياه عندما يعود .

وسمعت تنهده عبر الأسلاك بعد أن أيقن عيث بمحاولة الضغط عليها ثم قال لها :

«حسنًا اعترف أنني هزمت لكنني سأحصل بك ثانية فيما بعد فربما تغيرين رأيك .»

«آه ولكن ...»

كانت كارولين على وشك الاعتراض لكنه كان قد وضع الساعة . ونسيته عندما عادت إلى غرفتها لتختار الفستان الذي ترتديه هذا

وتبتد جزء من سرورها بالهدايا عندما أشارت العمة ريتا دون قصد منها إلى سبب تمييز دومنيكو . فهو لم يشترطها هذه الملابس ليدخل السرور إلى قلبها بل اشتراها ليزداد أهمية في نظر زملائه من رجال الأعمال وزوجاتهم ، فقد كان عليها أن تعزز مركز أسرة فيكاري بما ترتديه من ملابس خرافية ومجوهرات لا تقدر بحال . انها مجرد تمثال تعلق عليه زخارف الثراء اكتساباً لمزيد من الأهمية لدى منافسيه . وعندما انصرفت العمة بدأت ترتب ملابسها في الخزانة الفسيحة حتى ملابسها . وبدلاً من أن تغلقها أخذت تتناول الثياب بطريقة عشوائية لمجرد ادخال السعادة إلى قلبها . ونسيت انها كانت ترتدي الجينز والقميص عندما قابلت دومنيكو للمرة الأولى وغابت في حلم وهي ترى نفسها مرتدية ثوباً مختلفاً في كل مرة يستدير دومنيكو لينظر إليها وعلى وجهه نظرة اغتباط وهو يرى فتنتها في أروع صورها بهذه الملابس المذهلة والفراء الباهظ الثمن . وبينما هي غارقة في افكارها دق الباب فنقلها ذلك من قمة أحلامها إلى أرض الواقع ونادت بصوت عال :

«ادخل .»

كانت أدلينا .

«هناك رجل يريد التحدث إليك في التليفون .»

«أشكرك يا أدلينا سأنزول حالا .»

أغلقت خزانة ملابسها وأسرعت إلى القاعة التي فيها التليفون

الليلة وقالت :

وسأطلب من دومنيكو أن يصحبك لمشاهدة بعض معالم المدينة بعد العشاء. أنك لم تخرجي من المنزل منذ وصولك وسأغضب كثيراً إذا ظلّ على هذه الحال بعد اليوم .»

وبعد العشاء واحتساء القهوة جلسنا في الشرفة لكن دومنيكو تأخر ولم يصل إلّا بعد أن حلّ الظلام .

نهضت عنته سريعاً وعلى وجهها نظرة أصرار لمقابلته . وسمعتها كارولين وهي تتحدث إليه ثم تطلق صرخة بدت وكأنها ترثي له . ولم يتكلم دومنيكو إلّا مرة واحدة لكنها لم تفهم ماذا قال فقد كان صوته مختلفاً ، تنقصه القوة والسيطرة إلى حد ما . وسمعت كارولين وقع خطواته على الدرج فوثبت لتلتحق به لكن العمة ريما دخلت الغرفة ورفعت يدها لتوقفها قائلة :

«لا ، لا تفعل هذا يا كارولين !»

«لكني أريد أن أتحدث إليه دقيقة واحدة يا عمتي ريما.»

«في وقت آخر يا عزيزتي . اتركه الآن لأنه ليس على ما يرام.»

«ولكن ماذا به ؟»

«أؤكد لك أن التزامه الراحة بعض الوقت مع الهدوء كافيلاًن بإعادته إلى حالته الطبيعية . لا تنزعجي يا عزيزتي فإنه مجرد صداع نصفي أصيب به منذ أن كان في السابعة من عمره بعد وفاة والديه . وكثيراً ما تساءلت عما إذا كانت هناك صلة بين الأمرين.»

المساء عندما تقابل دومنيكو . كانت تعرف أنها يجب أن تتصرف بسرعة قبل أن يعود إلى الخروج . لكنها قررت أن تنتظره حتى يستحم ثم تعترض طريقه قبل أن يسرع إلى الخارج كعادته.

وأمضت وقتاً طويلاً وهي تفكر في خيار ثوبها . كانت العمة ريما تصرّ دائماً على أن ترتدي ثوباً جديداً في العشاء حتى ولو لم يكن هناك غيرها ، فأخذت تأمل ملابس المساء . كان معظمها فاتح اللون لكن كارولين قررت أن ترتدي ثوباً أسود . كما اعتزمت أن تقوم بتصفيف شعرها دون مساعدة أدلينا.

ولم تسأل نفسها وهي تستحم وتزين وجهها ماذا تريد من دومنيكو . ولم تكف عن التساؤل لماذا كل هذا الجهد مع رجل فعلت المستحيل لكي تنفّر منه. ففي الأيام القليلة الماضية استولى عليها قلق لم تستطيع تفسيره . كانت الأيام غر بسيطة وداخلها شعور بالحنينة واحساس بأنها تتعرض لمعاملة سيئة كلما أسرع دومنيكو داخلًا أو خارجاً من المنزل دون أن ينظر إليها أو يكلمها . أما هذه الليلة ، فقد شعرت بتبدل ملحوظ وأرادت أن يكون معها شاب يشاركها ذلك ، شاب مثل دومنيكو عندما كان في باريس يضحك ويمزح ويغازل .

انتهت من زينتها ولم يعد أمامها سوى انتظار دومنيكو فجلست وقد عقدت يديها في حجرها تتوقع سماع صوت سيارته ووقع خطواته تعلن وصوله .

وتناولت العشاء مع العمة ريما التي أكدت لها أنها فائتة في هذه

فرددت كارولين كلامها قائلة :

«صداع نصفي ؟ مسكين يا دومنيكو.»

«هل عانيت منه يا كارولين من قبل ؟»

«كلا ولكني كنت أمرض والذي عندما تعتريه النوبة فقد كان ضحية هذا المرض وكثيراً ما كان يطلب الموت إذا اشتد عليه الألم. وكنت أخفف عنه وطاته بوضع منشفة باردة على جبينه وتدليك رقبته. وبعد ساعتين من النوم يصحو ممتلئاً حيوية.»

«أود لو تفعلين الشيء نفسه مع دومنيكو يا طفلي ، لكنه لا يسمح لأحد بدخول غرفته عندما تعتريه هذه الحالة ، ويظل ملازماً الغرفة حتى يزول الألم لكنني أسعته أحياناً يتجول في الغرفة ، وصف له الأطباء أفراساً ولكنه يرفض تناولها لأنها لا تخفف من آلامه . ويرى الأطباء ان هذا الصداع النصفي قد يكون عائداً الى حساسية خاصة أو الى اجتهاده في العمل . ولكن أياً كان سببه ، فالطب عاجز عن علاجه.»

أرادت كارولين أن تذهب اليه ولكن العمة ريما منعتها قائلة :

«سيغضبه ذلك فهو يفضل أن يبقى وحيداً الى ان يزول الألم.»

اتجهت كارولين الى غرفتها وبدأت تخلع ملابسها. لم تسمع صوتاً صادراً من غرفة دومنيكو ، فتحت أن يكون قد استسلم للنوم . وسارت على أصابع قدميها حتى الباب الذي يفصل غرفتيهما واسترقت السمع لكن كانت الغرفة هادئة تماماً . نظرت الى الباب

وقفت لو تفتحه ، ولكنها تذكرت كلمات العمة ريما فسحبت يدها. كانت تعلم أن في وسعها التخفيف من آلامه ، فقد كان أبوها يقول إنه لولا وقوفها الى جانبه عند اشتداد الألم لما توانى عن الانتحار مخلصاً من الألم . لكن الصلة بينها وبين أبيها كانت قوية . أما دومنيكو فلن يسمح لها بان تراه وهو في هذا الوضع الذي يبدو فيه ضعيفاً ، متخاذلاً !

وهكذا انسحبت عائدة الى غرفتها !

خلاله محاولا التخفيف من ألمه . أما أغطية الفراش فقد تناثرت هنا وهناك .

وحاول أن يمزج صوته بنبرة أمرة ولكن صوته عكس ما في عينيه من ألم فقال لها في ضعف :

«اذفبي وذعيتي وحدي »

فحركت كارولين تجاه الباب قائلة :

«سأذهب الى الطابق الاسفل يادومنيكو وسأعود »

وعادت بعد دقائق تحمل إناء فيه ماء ومكعبات من الثلج وضعت به الى جانب الفراش ووضعت فيه منشفة نظيفة . ويرفق أعادت رأسه الى الوسادة عندما حاول الجلوس ليرفع صوته محتجاً ، واضطر الى الاستسلام أمام إصرارها .

لم تحاول ترتيب الفراش لأن أي حركة تسبب ألماً . عصرت المنشفة ووضعتها على جبينه المقطب . فتنهد وجذب نفساً عميقاً وقال :

«إني اشعر براحة الآن يا كارولين »

وفي صبر أعانته ، فكانت تضع المنشفة على جبينه حتى اذا صارت دافئة استبدلت بها غيرها . وأغمض جفنيه دون ان يتام وكانت كلها رفعت الكيادات الباردة لتغيرها بمسك بيدها ليبقاها أطول مدة ممكنة . جلست على حافة الفراش وتركزت المنشفة مكانها ثم بدأت تدلك جانب رقبته التي انقبضت عضلاتها نتيجة للتوتر الناشئ عن الألم . وبدأ يسترخي تدريجياً وأخذ تنفسه يزداد عمقاً واستغرق في النوم دون

٨ - الخطوة !

مرت ساعات منذ ان اتخذت كارولين قرارها . جلست في فراشها تحديق في السقف الزخرفي دون أن ترى شيئاً . ولم تستطع أن تستسلم للنوم بسبب تفكيرها في الألم الذي يعاني منه دومنيكو في الغرفة المجاورة .

وسمعت جسماً يرتطم بالأرض في الغرفة المجاورة فنهضت من فراشها لعلها تسمع ما يدها على أنه مازال مستيقظاً . وأخذ قلبها يخفق بسرعة عندما وثبت من فراشها وذهبت الى الباب الذي يفصل بينهما . لكن الصمت كان سائداً . فلم تحتمل الانتظار وارتدت ثوباً ثم عادت الى الباب وأدارت المقبض .

كانت الغرفة مظلمة تغطي الستائر نوافذها لتجيب أكبر قدر ممكن من الضوء . خطت الى الأمام لتسأله عما اذا كان يريد مزيداً من الماء . وشهقت اشفاقاً عليه عندما فتح عينيه وهي تتأمله . فقد عكستا ما في داخله من ألم . كان مقطب الجبين شاحب الوجه . وبدأ شعره الأسود الذي اعتاد أن ينسقه بدقة أشعث رطباً بعد أن مر بأصابعه

ألم . واستمرت تدلكه حتى تعبت يداها . فتوقفت عن التدليك لحظة لتتأكد من نومه .

وبينا هي تنتظر تم ببضع كلمات ثم تحرك وأحاط خصرها بذراعه . ولم تواتها الجرأة على التحرك خشية أن توقظه وتعيد اليه ما سكن من ألامه . فجلست في هدوء تنتظر حركته الثانية لتهرب .

إلا أن دومنيكو كان مستغرقاً في نومه . وبدأت تشعر بشغل ذراعه حول خصرها التحيل وبدأت التقلصات تختار أصابع قدميها وأخذت تحركها لتعيد جريان الدم إلى قدميها وحاولت أن تتخلص من ذراعه لكنه حرك رأسه وقتم بكلام غير مفهوم . ولم تجازف بالحركة الثانية فرفعت ساقيها إلى الفراش وعندما استلقيت على وجهها أخذت التقلصات تختفي فأراجحت رأسها على الوسادة . وشعرت بزفريات دومنيكو على خدها واحتقن قلبها بالدم وهي تنظر اليه . كم يكره أن تراه وهو واهن كما هي حاله الآن .

عندما بدأت خيوط الشمس الأولى تسلل عبر الستائر إلى الفراش تحركت في هدوء وانسلت إلى غرفتها . وما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى استغرقت في نوم عميق .

واستيقظت بعد ساعات على خشخشة صينية الفطور ودهشت وهي ترى أدلينا تتقدم نحو فراشها مبتسمة قائلة :

«صباح الخير ياسيدي . هل نعت بنوم هادي؟»

«لماذا أحضرت فطورى إلى هنا يا أدلينا ؟ تعرقين اننى دائماً أتناوله في

غرفة الطعام . كم الساعة الآن ؟»

«العاشره يا سيدتي . وقد أصر السيد فيكاري على ألا نوقظك باكراً

وأن تتناولى فطورك في الفراش .»

احمر وجه كارولين وقالت :

«السيد فيكاري هل هو أحسن حالا ؟»

«استيقظ باكراً وذهب إلى العمل قبل الثامنة وكان يصفر طوال الوقت

قبل خروجه . أحسن حالا ؟ نعم لا بد أنه كذلك .»

كانت عينا أدلينا تتلألأ في سعادة وهي تجيب عن أسئلة كارولين التي ازداد وجهها احمراراً وهي في دهشة بما تعرفه الخادمة الرقيقة العجوز عن سيدها .

واستمتعت بفطورها إلى أبعد حد . ولما فرغت منه أخذت دشاً وارتدت ثوباً لونه زاه كضوء الشمس وذهبت إلى الشرفة لتجلس مع العمة رينا . وتساءلت عن مدى ما تعرفه العمة عما حدث الليلة السابقة فشعرت بالحجل وهي تقترب من مقعدها .

ولكن لم يكن هناك داع لقلقها إذ أن عيني السيدة العجوز كانتا صريحتين وجاءت كلماتها الأولى لتبتد خجل كارولين .

«سيسعدك أن تعرفي أن الصداع النصفى زایل دومنيكو يا عزيزتي .

ألم أقل لك إنه سيكون في خير هذا الصباح ؟»

«هل رأيته يا عمتي ؟»

«لا ولكن أدلينا أخبرتني بأنه استيقظ باكراً وكان يغمى وهو يستحم

فلا بد أنه كان على مايرام»
وأضافت :

«لم يسبق لي أن رأيت دومنيكو وهو يغني بعد نوبة من نوباته . لعل النوبة لم تكن شديدة هذه المرة . نعم لا بد أن هذا هو السبب »
وابتسمت كارولين ابتسامة خفية وقالت لنفسها : إذا كانت تلك النوبة نوبة خفيفة . فلنترقب الساء بدومنيكو المسكين عندما تنتابه نوبة قوية !

ومر اليوم في ببطء وهي تنتظر عودته بفارغ صبر . وأمضت وقتها تلهو مع فيتو كما قضت بعض الوقت في المطبخ مع أدلينا التي كانت تحب أن يشاهدها أحد وهي تعمل . وكانت على استعداد لأن تنص على كارولين ما كان يفعل دومنيكو وفيتو في صباحها . وكانت كارولين من ناحيتها تنصت باهتمام . إذ راق لها أن تعرف كل شيء عن دومنيكو ويوجه خاص كم كان عدد الفتيات اللواتي أحضرهن إلى المنزل قبل زواجه . كانت أدلينا متحمساً من المعلومات في هذا الصدد وبدأت كارولين ترسم لدومنيكو صورة لا تمت بصلة إلى ذلك الرجل المتجهم الوجه . بل تشبه صورة دومنيكو الذي عرفته لساعات قليلة في باريس . وساءها أن تدرك أنه لم يتحول إلى الأسوأ إلا بعد أن قابلها . ولكن لعلها تستطيع بعد الليلة أن تعلن الهدنة . لعله يعود من عمله ويطلب منها أن ترتدي أفضل ملابسها ليرويها جانباً من الحياة الليلية في روما المدينة الخالدة ! كم كان يحلو لها أن تكتشفها.

احتوت بارتداء الثوب نفسه الذي ارتدته في الليلة السابقة دون أن يراه وسمعت كارولين صوت العمة رينا وهي تتحدث إلى أدلينا قبل أن تنزل الطابق الارضي وأحست بقلها يهبط . واحتقنت الدموع في عينيها وابتلعت ريقها بصعوبة . منذ الليلة السابقة وهي تنتظر عودته ليأخذها إلى الخارج . ولن تبالي حتى ولو أراد أن يعاملها ببرود ويبتعد عنها . ستصارحه بأنها لم تعد تطيق الوحدة وستنظر طوال الليل إذا دعا الأمر . ثم تخبره بأنها لا ترغب في البقاء سجيناً أكثر من ذلك.

كانت ترجو أن تصلها أخبار عن دورندا حتى إذا تمكنت من الاتصال بها رحلت من روما إلى الأبد . ولكن ذلك لن يكون قبل أن تخزن لنفسها بعض الذكريات عن المدينة التي يعيش فيها دومنيكو . كانت في حاجة ماسة إلى ما يذكرها به عندما تتركه إلى الأبد . بعض الذكريات السعيدة التي تعيش عليها عندما تصبح حياتها مجرد فراغ.

كانت العمة رينا قد ذهبت لفراشها وكانت كارولين تستمع إلى الموسيقى عندما سمعته يدير المفتاح في الباب . هزت نفسها لتنفذ عنها ما استولى عليها من نعاس ثم نهضت .

وبدت خطوات دومنيكو تتجه إلى الطابق الاول فأسرعت للحاق به قبل أن يغيب في غرفته وعندما وصلت إلى الباب كان قد صعد إلى منتصف الدرج والتفت مندهشاً حيناً سمعها تناديه باسمه :
«دومنيكو»

«ماذا تفعلين في هذه الساعة المتأخرة؟»

ترددت للحظات ثم استجمعت شجاعتهما وقالت :

«كنت أنتظر يا دومنيكو فأنني أريد التحدث اليك .»

واستوقف نظره ثوبها الذي بدت فيه وكأنها طفلة صغيرة جميلة وبدا الغضب في صوته وهو يتعد قائلاً :

«ألا يمكن أن نؤجل الحديث الى الصباح فأنا متعب .»

«لا يا دومنيكو أريد التحدث اليك الآن .»

فهز كتفيه واستدار ليذهبها الى غرفة الاستقبال . وجلست هي في الأريكة بينما سار هو الى المدفأة ووقف نافذ الصبر مترقباً ما تقوله .

خانتها كل العبارات والكلمات التي استعدت لقولها وأخذت تبحث في انفعال عن مقدمة تبدأ بها الكلام . فوفر عليه المشقة عندما قال لها وهو يبحث عن علة السكائر في جيبه :

«قبل أن أنسى . أحب أن أشكرك على رفئك معي الليلة الماضية.»

حاولت ثانية أن تفتحه في موضوع سجنها في المنزل ثم تنفست الصعداء عندما تذكرت أنها لم تشكره بعد على الملابس التي اشتراها وفي لفتتها تلعثت وهي تقول :

«أريد أن أشكرك على الملابس التي اشتريتها . وصلت أمس وانتظرتك في المساء لأشكرك ولكنك كنت متعباً فكان علي أن انتظر

الى اليوم . انها رائعة يا دومنيكو . لم أصدق عيني عندما فتحت الصندوق انني عاجزة حقاً عن شكرك .»

اخذت حماسها تلك النظرة الساحرة التي بدت على وجهه أثناء تدفقها في الكلام . ظلت تحلم بإمكان قيام صداقة بينهما في الفترة القصيرة التي تعتزم بقاءها في المنزل لكن نظرتة دلت صراحة على أن معاملته لها لم تتغير .

«أهذا كل ما تريدن قوله ؟»

سحق سيكارته وكأنه أراد أن ينهي الموقف وسار في اتجاه الباب وكان الحديث انتهى بالنسبة اليه .

«لا يا دومنيكو انتظر»

فاستدار ورفع أحد حاجبيه في استفهام . فتلعثت وهي تستطرده قائلة:

«أرجوك يا دومنيكو . أريد أن اخرج أحياناً لا»

واحتقع صوتها في سخط قائلة :

«هل أدركت أنني لم أخرج من المنزل أبداً منذ وصولنا»

«ها نحن وصلنا الى جوهر الموضوع ! لقد سئمت الوحدة ولعلك تستائين الى ما يبديه نحوك صديقك الانكليزي السيد غراهام من اهتمام.»

«جيفري لماذا أشتاق اليه ؟ انني لا أكاد أعرفه .»

فأجابها غاضباً :

«يبدو أن معرفتك به وصلت الى حد مناداته باسمه الأول .»

«طلب مني أن أناديه بجيفري منذ الليلة الأولى وقد اعتدت على ذلك

ربما لأن كليتا مغترب عن وطنه .»

ثم قالت واثقة :

«أو ربما لأنه لينّ العريكة . في أي حال لا شيء بيننا وأؤكد لك ذلك .»
«لست في حاجة لتأكيداتك . وأنا كقيل بالآ تطوّر صداقتك مع هذا الرجل . إن سلوكه مشين ، وهو لا يؤتمن على امرأة . وفي المستقبل لن يجد ترحيباً في هذا المنزل وقد أعطيت الأوامر للخدم لمنع من الدخول إذا ما حضر .»

نظرت إليه ساخطة وهي تقول :

«كيف تفعل هذا يا دومنيكو ؟ ماذا فعل جيفري ليستحق معاملة كهذه ؟ كان دائماً سيداً مهذباً . ولم يفعل ما يستدعي صده . أما عن سمعته فلهي أذكرك بأن ابنة عمك هي التي قدمته إلى . يبدو أنك لا تمنع لي أن تراه وتجتمع به ؟»

نظر دومنيكو إليها في تأمل إذ كانت غاضبة من أجل جيفري ، وأخرج سيكارة أخرى وأشعلها قبل أن يرد عليها :

«كنديدا ليست مسؤولة أمام أحد لكنك زوجتي وسلوكك يتعكس عليّ ، فإذا كنت عاجزة عن التصرف بحذر فيجب عليّ بوصفي زوجك أن أحذ من نشاطك .»

وبدت الحيرة على وجهها واضعة وهي تتساءل عما يعنيه بالملاحظة الأخيرة التي أبدتها .

«ومتى تصرفت بغير حذر ؟ هل لك أن تشرح لي ما تعنيه ؟»

وبدأت المواجه تتنابها فهي لم تكن تتوقع أن يتطرق الحديث إلى هذا الموضوع . قررت أن تقدم إليه غصن الزيتون طالية منه الهدنة بطريق غير مباشر وتخفيفاً من حدة التوتر بينهما . ولكنه كان كعادته عنيداً وشعرت وهي تتأمل وجهه المتجهم بأنه لن يتراجع . وأخذت تنتظر منه ايضاحاً لكلامه دون أن يبدو منه أي استعداد لذلك . كانت تدق الأرض بقدمها في نفاد صبر . وكانت لهجتها تنم عن كبرياء وتعال .

ويبدو أنه أعجب بها وهي تدق الأرض بقدمها وتخاطبه في استعلاء . فابتسم ، أو على الأقل انفرجت شفتاه قليلاً ، أما عيناه السوداوان فقد زابلهما المرح . قال :

«هل تذكرين أن ما قمت به من استعراض مع السيد غراهام في الحفلة كان جريئاً ؟»

«الاستعراض الذي قمت به ؟ ماذا تعني ؟ لا يمكن أن تكون جاداً يا دومنيكو . لقد رقصنا ولم يكن هناك أي استعراض .»

ثم خانتها عباراتها وضحكت ضحكة رنانة للوصف الذي أطلقه على تصرف لا يبدو أن يكون رقصة ممثلة .

لكن هذا الكلام لم يعجب دومنيكو . وبعد لحظات اختفت ضحكاتها وحلّ الغضب مكانها . وقالت في هدوء :

«هل تعني ما تقول من أنني تصرفت باستهتار يا دومنيكو ؟»
واكتفى بأن ألقى بعقب سيكارتته في المدفأة . ولم يهتم بأن ينظر

اليها وازداد غضبها لأن صمته أكد لها صدق حديثها . كان يظن بأنها لا تستطيع الثورة لكرامتها ولكن اتهمه لها دفعها الى الانتقام .

«زوجة قيصر يجب أن تكون فوق كل الشبهات . أهذا ما تريده يا دومنيكو؟ أما قيصر نفسه فلا بأس اذا ما تخلف عن القيام بواجباته . بينما تبقى زوجته بعيدة عن أي اتهام .»

«ما معنى ذلك بالضبط؟»

«بعضي انني ربما كنت مذنبية لاستماعي برقصة مع رفيق ممتاز إلا انني لم أفقد صوابي بين ذراعيه كما فعلت أنت مع كنديدا ! ولعلك لم تلاحظ ان هناك متفرجين في هذه المناسبة . أولعل سحرها هو الذي جعلك لا تبالي .»

واستطاعت بكلماتها أن تنال منه لأن لونه بدأ يتغير واستدار ليواجهها وعلى شففيه المرتجفتين سيل من الكلمات الغاضبة . ثم تماسك بعد جهد كبير وابتلع ما كان يوشك أن يقوله . وبذل جهداً ملحوظاً لاستعادة رباطة جأشه وبدأ من عباراته أنه قرر تجاهل اتهاماتها واعتبارها كأن لم تكن .

«ستبين في هذا المنزل حتى أسمح لك بمغادرتي . هذا جزء من المخطط الذي وضعته لكي تتعلمي كيف يتصرف الضوم الليلاء الذين يعيشون في شرف وتبقى تحركاتهم فوق الشبهات .»

وتجاهل شهقة الفزع التي بدرت منها واستطرد :

«لست أجد لك معلماً أفضل من عمي . وأتمنى أن تدركي من العيش

معها خطأ تصرفاتك ، وربما انطبعت فيك بعض صفاتها . ومتى تأكدت من انك تستطيعين أن تحتلي مكانك في المجتمع دون أن تجلسي العار على الاسم الذي تحميكته ، فعندئذ أسمح لك بأن تأخذي مكانك الى جانبي تستقبلين الضيوف وتتصرفين كما ينبغي على الزوجة أن تفعل . وستكونين خاضعة للتجربة فاذا تعلمت الدرس سريعاً كان اطلاق سراحك أقرب مما لو حاولت المقاومة .»

استمعت كارولين الى هذا القرار الفظ في دهشة . وعندما انتهى ظلت جالسة في هدوء عاجزة عن الاهتمام الى الكلمات المناسبة . فقد أخرستها الصدمة واستبد بها الغضب . أما دومنيكو فقد تأملها في عدم مبالاة ثم انفجرت قائلة :

«أيها المتزمت المتعجرف ! كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة كيف تجرؤ على أن تفكر في بهذه الطريقة ؟ لن أغفر لك هذا الموقف أبداً .»

وهز كتفيه في عدم مبالاة واستدار قائلاً :

«ليست عندي رغبة في مناقشتك . ولكن ثقي بانك لن تغادري هذا المنزل إلا بعد ما تصبحين ما اريدك ان تكوني .»

«هل تعرف العمه رينا هذه الخطة الشيطانية التي وضعتها ؟»

وانتظرت رده في خفة ، فقد شعرت بأن الحياة لا تطاق اذا كان لدى العمه رينا هذا الرأي الوضيع عنها . كانت تحب السيدة العجوز وكانت تشعر بأنها تبادلها الحب نفسه وأرادت أن تعرف ما اذا كانت شريكة في هذه الخطة التي يراذ بها إذلالها . وشعرت بارتياح عندما رد

عليها قائلاً :

« لا بالطبع انها تحبك الى درجة انها سدت أذنيها عن كل ما يقال ضدك ولا رغبة لي في ازعاجها ».

واضاف :

«لا بد انها تعرف شيئاً لأنها ليست حمقاء . وقد دارت بيننا لحظات عصبية أخيراً بسبب ما سمته باهوال لك ».

«هل تظن أنني سأدعك تمل عليّ ارادتك بهذه الطريقة يادومنيكو ؟ أعدك بأنني سأقاومك حتى النهاية ».

وفي غضب واستطردت :

«هل تظن أننا في روما العتيقة وأنتك فيصر وانتي جاريك ؟ لا بد أنك مجنون !»

ثم جمعت أطراف ثوبها وأسرعت من غرفة الاستقبال الى السلم دون أن تنظر اليه .

وخيل اليها أنها سمعت ضحكة ساخرة رافقتها الى أن أغلقت الباب وراءها.

٩ - المفاجأة

ارتجفت أصابع كارولين وهي تدير قرص التليفون . لقد انتصف اليوم وخلا المنزل الا منها ومن الخدم أما العمة رينا فقد ذهبت ومعها الطفل فيتو لتزور بعض صديقاتها ولا يتوقع أحد عودتها الا في ساعة متأخرة من بعد الظهر وكانت كارولين مدعوة أيضاً ولكنها رفضت الدعوة اذ كان لديها خطط أخرى تريد تنفيذها.

«أهذا أنت يا جيفري ؟ أنا كارولين ».

«كارولين يا عزيزتي ! كم هو جميل منك أن تحدثيني تليفونياً».

«هل أنت مرتبط اليوم بشيء معين ؟»

«لا شيء . هل تقضين اليوم معي ؟»

«إذا لم يكن لديك مانع ».

«ارتدي ملابسك يا عزيزتي . سأكون عندك بعد عشر دقائق».

أسرعت الى غرفتها واختارت ثوبها الأخضر وحذاءها الأبيض وحقيبة يد ملائمة . وبدت جميلة وفاتنة عندما فتحت الباب لجيفري . وهي لم تنس تعليقات دومنيكو بعدم السماح له بالدخول اذا حضر

ولهذا أسرع في اتمام زينتها لتفتح له الباب بنفسها عند وصوله .
تذكرت نبرة دومنيكو العنيفة وهو يحل عليها شروطه . لقد ازداد
اصرارها حتى أنها قررت في النهاية الاسراع الى التليفون قبل أن
تضطر الى التراجع .

قادها الى سيارته وانطلق بها في انحاء روما . كانت هي المرة الاولى
التي ترى فيها روما على حقيقتها .

ولسوء الحظ أن رأي جيفري في الأماكن التي تستحق المشاهدة
يختلف تماماً عن رأيها . فلم يكن همه أبداً أن سبعة وعشرين قرناً قد
مضت على بناء أم المدن . فانطلقت سيارته وهي تمر بسرعة أمام
الصورح المشيدة والنافورات الملونة والكنائس الفخمة وصالات
عرض الصور الفنية وأنزلها من السيارة أمام مطعم كستلوي
سيزاري أي قلعة القيصر .

والتفتت اليه كارولين غابسة الوجه وقد خاب رجاؤها فيه وهو
يدفعها الى داخل المطعم . واعترضت قائلة :

«ولكن يا جيفري ظننت أننا سنرتاد الأماكن التي تستحق المشاهدة .
هناك أشياء كثيرة كنت أرغب في رؤيتها مثل الكولوسيوم وحمامات
كر كلا .»

«لكن يا عزيزتي هذه الأماكن الأثرية لا يغشاها الا السياح . ولا
اطنك تريدان الانضمام الى أفواج من الأجانب يثرثرون بلغات
مختلفة ويصوبون آلات التصوير في جميع الاتجاهات .»

«لم لا ؟ اني أجنبية ولا أتكلم الايطالية ولن أحسن بغربة وأنا وسط
هؤلاء السياح . أنت لا تعلم كم أتوق الى مشاهدة كل عجائب روما
والآن وأنا في قلب المدينة انطلقنا بسرعة ثم انحرفنا في النهاية الى
داخل مطعم .»

وضع يده تحت ذراعها ودفعها برفق عبر باب المطعم قائلاً :
«اعدك بأن اصطحبك غدا في جولة سياحية اذا وافقت الآن على
دخول المطعم ستقابل بعض الأصدقاء .»

فوافقت على عرضه وأجابها بسرعة أنه عند وعده .
وبعد فترة قصيرة تدفقت الدعوات عليها لاستضافتها لكنها
راوغت المضيفين بحجة انه يجب عليها أولاً أن تراجع دومنيكو .
ورفضت أن تترك نفسها تفكر في رد فعل دومنيكو عندما يكتشف أنها
عصت أوامره . كان كافياً أن تعيش وتمتتع نفسها .

وذهلت عندما أخبرها جيفري بأن الوقت حان للعودة ولكن قبل أن
يسمح لها بالانصراف صمم صديقان لجيفري على أن يحصلوا على
وعد من كارولين بحضور حفلة للملابس التنكرية يقامها الليلة .
في السيارة تذكرت أنه ليس لديها ثوب تنكري ترتديه في الحفلة
وقالت :

«تذكرت الآن فقط ا انني لا املك ثوباً تنكرياً .»
«أتركي الأمر لي سأستأجر لك ثوباً مناسباً بمجرد أن أوصلك الى
الدار .»

«ولكن من أين لك أن تعرف مقاسي؟»

نظر إليها في مكر ليحدد مقاسها ثم أطلق ضحكة وهو يلحظ ارتباكها. وطلب إليها ألا تقلق لأنه سيختار ثوباً على مقاسها وسيكلف الشركة التي تزخر الثياب إرساله إلى منزلها.

وبعد أن وصلت العمة ريما إلى المنزل بوقت قصير أحضرت الطفل وسلمته لأدلينا ليستحم ويتناول الطعام قبل أن ينام. وما كادت تفعل حتى دق التليفون فرفعته العمة لترد وسمعتها كارولين تقول : «حسناً يا دومنيكو، إذا كان من الضروري أن تفعل ذلك فافعله. ولكنني هيات نفسي لأن أتناول العشاء في الخارج هذا المساء وهذا يعني أما أن تصحبني كارولين فيتناول الضجر من الاستماع لكثير من الذكريات عن صديقاتي الحميات وأما أن تبقى لتتناول العشاء بمفردها. اني أعتقد بأن معاملك لها سيئة.»

وأغلقت التليفون بعنف تاركة دومنيكو على الخط مشتمزة من تصرفه. وألقت إلى كارولين قائلة : «هل سمعت؟»

«نعم ولكن أرجو ألا تقلقي من أجلي. اني مدعوة إلى حفلة هذا المساء فيمكنك أن تخرجي وتضيئي نفسك.»

«إن ذلك رائع يا عزيزتي. ولكن من سيكون رفيقك؟ أن دومنيكو مرتبط برفيق عمل كل السهرة.»

«سيصطحبني السيد غراهام اتعرفينه؟ انه صديق كنديدا.»

وعبرت وجه العمة ريما سحابة عند ذكر اسم جيفري وظنت كارولين بأنها ستسمع شيئاً من الاعتراض على رفيقها. إلا أن العمة ابتسمت وقالت:

«انه شخص ساحر. للأسف ان دومنيكو لن يكون في الحفلة. لن يتغير إلا اذا شعر بالغيرة الحقيقية.»

أسرعت إليها كارولين وقبلتها.

«انك حقاً عجوز ماكره يا عمتي. وانا أحبك من أجل ذلك.»

وبادلتها السيدة العجوز القبلة ودفعتها إلى أعلى السلم لتتعد للحفلة. وفي طريقها إلى الطابق الأعلى تقابلت مع أدلينا أثناء نزولها وطلبت إليها نفل الصندوق الذي كانت تنتظر وصوله إلى غرفة نومها.

استمعت كارولين بحمام طويل وعندما عادت إلى غرفة نومها كانت سعيدة. ورأت صندوقاً كبيراً فلما فتحت وقفت مشدوهة إذ اشتمل على بضعة خيوط من النايلون وزى على الطراز البكيني مرصع بالترتر وله حالتان للكتفين مرصعتان بالجواهر وخار مع بحسوة كبيرة من الحللي الزجاجي البراق وحاولت ارتدائه وهي متعصة. ووقفت أمام المرأة وقالت:

«انه زي همجي لا بد أن يكون جيفري مصاباً بجنون. لا يمكنني ارتداء هذا الزي.»

وقفزت عندما رن التليفون ومضت نحوه لترد عليه فدوى صوت

دومنيكو يسأل :

«العمة ريما ؟»

«لا، أنا كارولين . عمك خرجت .»

«ليس في الأمر أهمية . سأتصل بها في ما بعد . هل أنت وحدك؟
«نعم .»

وانتظرت متمنية أن يقول لها إنه سيعود الى المنزل حتى لا تبقى وحدها في المساء الا أنها وهي تنتظر ذلك سمعت صوت كنديدا تطلب منه ان ينهي حديثه ، فأثار كارولين ما بدا في صوتها مما يدل على انها متمكنة منه حاول دومنيكو أن يضيف شيئاً الا أنها وضعت سماعة التليفون واتجهت الى منضدة الزينة.

وعندما فعلت ذلك لم تنظر مرة ثانية الى المرأة اذ أزعجها الثوب الذي كانت ترتديه ولم تشأ أن يعوقها أي شيء عن تنفيذ خطتها . ووضعت المعطف عليها وبمجرد أن رن جرس الباب نزلت الدرج وخرجت .

«هل كان الثوب مناسباً يا كارولين ؟»

«طبعاً يا جيفري . انه ممتاز .»

«انك متحررة قليلاً يا كارولين . لو كنت رفضت ارتداء هذا الثوب لما قلل ذلك من قيمتك في عيني ليس لأنه زي غير ملائم وانما لأن بعض الفتيات يفتقرن الى الثقة بالنفس ولا يرتدينه . بالاضافة الى انني قمت بعمل جبار حتى أجعلك تبدين هكذا.»

عندما وصلا الى المنزل الذي تقام فيه الحفلة وجداء متألقا بالأضواء فدق لب كارولين بسرعة اذ توقعت مفاجآت سعيدة عندما سمعت صوت الموسيقى والضحك.

سارا من خلال الباب الواسع المفتوح وحياها مضيقاها اللذان كانا يرتديان ملابس تمثل أنطونيو وكليوباترا . وعندما نظرت كارولين حولها شعرت بان الحجل زايها ، قبالقارنة بالأزياء التي رأتها في الحفل كان ثوبها أكثرها احتشاماً.

واندفع حشد سعيد عاصف بكارولين ولم ترجع في الا قليلا ، اذ كان زوجها الغريب وعيناها اللامعتان ووجهها المتورد مقصد ذلك الحشد من الحاضرين . وللمرة الاولى شعرت بأنها حرة تماماً . بعد فترة جاء جيفري وقد بدت عليه علامات السخوط لأنها كانت تبدل الرجال في كل رقيقة . فالتخذ طريقه وسط المعجبين وقد ارتسمت على وجهه نظرة هادئة وقال :

«هذا كثير . فقد أحضرت الى الحفلة أكثر نساء روما جاذبية ومع ذلك لم أتمكن من الاقتراب منها . انصرفوا عنها وليبحث كل منكم عن رفيقته . الرقصة التالية ستكون لي.»

رقصت كارولين مع جيفري . وأثناء دوراتها في حلبة الرقص اصططكت الصنجات النحاسية في صوت مرتفع وتوقفت الموسيقى فجأة ثم سمع صوت قائد الفرقة الموسيقية :
«سيداتي سادتي الرجاء الانتباه.»

فصمت الجميع وهم في انتظار ما سيعلمه.

«الرفصة القادمة ستكون رقصة موسيقى الغرامات.»

هللت المجموعة في سرور وقام جيفري بشرح تلك الرقصة لكارولين الحائرة ومؤداها أن يسير رجل في اتجاهات معينة بين الراقصين وعند توقف الموسيقى يطلب من الراقصين الذين على يمينه الاجابة عن سؤال فاذا عجزا عن الاجابة طلب منها تأدية غرامة. وبدأت الفرقة الموسيقية تعزف وكان الراقصون الشائرون يحاولون تفادي الرجل الذي كان يخطو بخطوات كثيرة ناحية اليمين وخطوات أخرى ناحية اليسار.

وكان كارولين وجيفري غارقين في متعة الرقص حتى نسيا الخبز فكانا الراقصين اللذين استحقا الغرامة. وكان السؤال الموجه اليها أصعب من أن يجيب عنه أستاذ في الجامعة. حاولا الاجابة وقد أخذتها رهبة المفاجأة، لكنها فشلا.

وسر أصدقاؤه جيفري عندما طلب منه أن يرفض الرقصة المزمارة وقد أداها بتقليد متفنن. وكانت غرامة كارولين أن ترقص رقصة تتناسب مع الزي الذي كانت ترتديه. فاعترضت قائلة: «لا أستطيع.»

الا أن المجموعة صمت ودفعها جيفري الى وسط الحلبة. وأخذوا يصرخون تشجيعاً لها ويصفرون بأصوات تشبه عواء الذئاب وهم يترقبون الرقصة. وبدأت الفرقة تعزف أو بالأحرى آلات النفخ.

وكان الجو يذكر بحياة جوارى في القصور في أحقاب التاريخ القديمة. وبهزة من كتبها ثبتت كارولين الحيار على وجهها وخطت داخل دائرة المتفرجين الضاحكين وبدأت تتأيل مع الموسيقى التي تكاد تؤثر في الحاضرين تأثير التنويم المغناطيسي. وكانت وهي ترقص تتذكر صوت مدرسة الرقص القديمة يدوي في أذنها قائلة لها:

«استمعي الى الموسيقى. انسي نفسك في الايقاع الموسيقى واجعلي جسمك يحكي القصة التي تريد الموسيقى أن تعبر عنها. استرخي يا فتاتي.»

وجرفها سحر الموسيقى. ولما توقف العزف فجأة استوقفت انتباهها عينان سوداوان تنظران اليها في احتقار. فوقفت فجأة وكأنها تسمرت. ولم تقو على النظر في عيني دومنيكو الغاضبين الذي سارع الى الاختفاء عن الانظار بينما احتشد المهنتون من حولها، واندهشت في وسطهم شاكرة. وحاولت أن تخفي شعور الرعب الذي استولى عليها عندما علمت بوجود دومنيكو وحاولت أن تختفي في الزحام لكن لم يدهشها أن وجدت يد كالفولاذ تقبض على مرفقها وتدفعها نحو الباب في عنف. ولبحت الذعر في وجه جيفري عندما تبين أن دومنيكو هو رفيقها، ولكنها لم تجد فرصة للتحدث معه.

رافقها دومنيكو بتجههم الى سيارته وانطلق بها سريعا. كان الطريق طويلا وكانت واثقة من أنه ليس الطريق الى المنزل. وبدأ الذعر يتسرب اليها.

وفجأة توقف الى جانب الطريق وأخذ يتفحصها ولم يترك جزءاً من زحماً الذي بدا الآن زياً رخيصاً مبهرجاً فخفضت عينيهما وتوردن وجنتاهما ألماً عندما شعرت باحتقاره لها.

«هل تفضلين بأن تشرحي كيف نسيت نفسك وجعلتني اضحكة أمام أصدقائي وموضوع اشفاق من جانب عائلتي ؟ لماذا خالفت تعليماتي الواضحة التي هيئتك فيها عن مقابلة جيفري؟»

اغرورت عينها بالدموع فالتفت اليها قائلاً :

«الدموع لن تفيدك الآن يا كارولين فاحتفظي بها لما هوأت . انا واثق من أنك ستحتاجين الى صمام أمان عندما أنهي الأمر معك»
وسألته مذعورة :

«ماذا تعني ؟»

«أعني أن الوقت قد حان لكي تدفعي دينك يا كارولين ! سأخذ منك شيئاً مقابل العار الذي لحق بي بسبك وسأخذه الليلة.»

واندفعت السيارة صاعدة بين الكروم والفيلات المنعزلة . خطر لها أن تدفع باب السيارة وتقفز منه وانتابتها تشعيرية من الخوف فحاولت أن تتحكم بأعصابها وأخذت تؤكد لنفسها بأن دومنيكو هو قبل كل شيء رجل نبيل.

وبدت السيارة تتباطأ ثم توقفت أمام فيلا محاطة بورود وشجيرات. وانتظرت في هدوء ولم تتحرك الا عندما فتح دومنيكو الباب وقادها الى الزهرة. وتوترت أعصابها عندما قال لها في اغتصاب:

«ادخلي هنا واجلسي بيننا احضر القهوة.»

تبعته الى غرفة مؤنثة تأثيثاً ينم على ذوق سليم . واستقرت راضية في أريكة قرب نافذة كبيرة تطل على الحديقة.

فتح الباب ودخل دومنيكو الغرفة يحمل صينية القهوة ووضعها على منضدة وبدأ يسكبها. وجلس الى جانبها وقدم لها قدحها فانسكب قليل من القهوة على معطفها فبادرت الى نفضها قبل أن يلمسها، وتدفق الدم في وجهها عندما ابتسم ساخراً وقال :

«سرى الآن اذا كنت قادرة على المقاومة؟»

كانت عيناه مثبتتين على وجهها تتقدان بضوء غريب فارتبكث وحاولت الوقوف لكنه مد يده ليستعها فابتعدت عنه بعصبية وانزلق معطفها من فوق كتفها لكنه أدركها وأمسك بها وجعلها عاجزة عن المقاومة وأخذ يجذبها الى ذراعيه . شعرت بيديه تقبضان على حلقها وانفتحت عينها في الوقت المناسب لترياه وقد انتزع منها القلادة الزجاجية البراقة التي كانت تتحلل بها .

وبدأت تقاوم والغضب الشديد يستولي عليها. وزايلتها موجة العاطفة التي استيقظت فيها عندما أدركت قصده .

ضابت حلقة ذراعيه من حولها عسك بها كأسيرة ، ولم تؤد مقاومتها الا الى اصرار على ابقائها في قبضته . قالت :

«أرجوك يا دومنيكو ألا تفعل.»

«ولم لا أفعل ؟ هل أنا من المحاقة بحيث أسمح لكل رجل آخر بأن

ينعم بك أما أنا فمفروض دائماً ؟ أنت زوجتي ، هل تتذكرين ؟ هل توقعت حقاً أن أقف مكتوفاً وأنا أراقبك تغازلين أي رجل قيلين اليه دون أن تشعرني بوجودي ؟

«لم أغازل أي شخص يا دومنيكو . ذهبت الليلة الى الحفلة الراقصة مع جيفري لأنني شعرت بوحدة رهيبة ولأنك حاولت السيطرة عليّ بالفرمان السخيف الذي أصدرته بأن أكون سجينته البيت . قطعاً لم تتوقع مني أن أحمل هذا القول محمل جد ؛ فنحن لا نعيش في العصور المظلمة ، ولا بد أنك لم تتوقع مني الامتنال لهذا الطلب السخيف .»
«لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك . كنت تعلمين أن ما تفعلينه يغضبني ويمكنك الآن أن تحصدي ثمار هذا الغضب . انك مجموعة من المتناقضات يا كارولين ؛ منذ اليوم الأول الذي قابلتك فيه وأنا عاجز عن معرفة حقيقة أمرك ، وأي الفتاتين أنت . فمن ناحية ، أرى الأم الصغيرة السعيدة مع طفل يحبها ثم تزعجيني بقولك إنك لم تحبي فيتو وهو ما يوحي بالاعتقاد بأنك امرأة منحلة . وأدهشتني مرة أخرى عندما قلت إنك تقبلين هدايا من الناس من أصدقائك كتأمين ضد الفقر . وأصابني الحزني عندما رقصت كبنات الهوى أمام كل من يعرفني في روما . وأكثر ما يدهشني هو أسلوبك في القوز بالخطوة لدى عمتي وكنت دائماً أقول إنها وحدها هي التي مسترك حقيقتك .»

وفي اللحظة التالية رفعها وحملها الى الأريكة كانت في حاجة شديدة اليه وكان يريد بقوة وللمرة الأولى في حياته ، أن يحظى

بشخص يكون له وحده ، شخص لا يشاركه فيه أحد كما شارك فيتو في أمه وكما شارك فيتو زوجته وطفله . توقفت عن مقاومته واغمضت عينيها .

وربتت على عنقه وهي تبكي وهمت وعيناها مغمضتان :
«فيتو يا حبيبي اني أحبك كثيراً.»

كان دومنيكو ساكناً تماماً حتى فتحت عينيها ، وبدت عليه امارات الخيرة وهو يحاول أن يعرف منها الحقيقة كاملة . وسألها بفتور :

«هل كنت تحبين فيتو ؟»

«نعم ، وأظن أنني سأحبه دائماً.»

ذمرت لصمته وأفرغها ثباته واغرورت عيناها والفتت برأسها لتخفي عنه عينيها . وهنا عرف الحقيقة . رفع يده الى خديها ومسح دموعها برفق . وأبعدت رأسها بعصبية عن ملمسه وصاحت :
«لا تلمسني !»

وسحب يده بسرعة وابتعد عن الأريكة وحدى الى النافذة . وعندما التفتت اليه كان وجهه صارماً .

«تعال يا كارولين . سأخذك الى المنزل .»

ولم يسألها لماذا كذبت عليه بالنسبة لشعورها نحو فيتو . اعتبر هذا الامر حقيقة واقعة ، وأدرك أنها نطقت بهذه الحقيقة في فورة العاطفة وهي بين ذراعيه مما ذكرها بفيتو باعتباره الرجل الوحيد الذي تحبه

فعلا .

أعانتها على الوقوف وأحاط كتفها بالمعطف وفي أثناء ذلك مستها أصابعه برفق فسرت في جسدها رجفة اعتبرها من أثار رد الفعل المفاجيء ونظر طويلا الى عينيها المعذبتين وتنهت قائلا :

«لا داعي للقلق لن أفرض عليك عاطفتي مادمت لا ترحبين بها . ارجو أن تقبلي اعتذاري لسلوكي في الماضي . ولو كنت أعلم أنك أحببت فيتنو الى هذا الحد لما حدث ذلك أبدا . هل تغفرين لي؟»

لم يعد لديها من الثقة في النفس ما يسمح لها بالكلام وانهارت تماما . وأحاطها بذراعيه وقادها الى السيارة .

كانت الرحلة الى المنزل سريعة وهادئة . وفي الساعات الأولى من الصباح توقفا أمام منزل العمّة رينا . لكن الأضواء كانت مازالت تنالق من النوافذ . وبعد أن ساعدها على الخروج من السيارة صعد سريعا الى السلم ورن الجرس .

فتح إيمانويل الباب وعندما رآها على العتبة رفع ذراعيه :
«شكرا لله .»

«ما هذا يا إيمانويل ؟ هل حدث شيء للعمّة رينا ؟»
«انه السيد فيتنو جاءنا خبر بأنه حيّ وهو في طريقه الى البيت ! ان السيدة تكاد تطير من الفرح . وقد أرغشنا على الثوم لأن الصدمة كانت شديدة على قلبها لكنها سعيدة جداً . كما اننا سعداء جميعا .»
والثقت دومنيكو الى كارولين فرأى وجهها المنعم بالحياة يشع

بتعبيرات السرور وهي لا تصدق الخير . وسألها بأنزعاج :

«وماذا يكون الأمر بالنسبة اليها يا كارولين ماذا ستفعل الآن؟»

لم ينتظر جوابها لكنه أسرع الى غرفة عمته . وبيط صعدت الى غرفتها وقد أصابها الدوار . لقد صدمها أنها وعت تماما كل ما قاله إيمانويل . وقلكتها فكرة وحيدة هي أن فيتنو سيحضر الى البيت وأن عليها أن ترحل قبل وصوله وقبل أن يعرف الجميع أنها كاذبة . كان مروعا أن تفكر في بقائها لمواجهة حنق دومنيكو عندما يكتشف كذبتها . وبدأت وهي شديدة الانفعال تعدّ حقيبة ملابس صغيرة تحتوي على اللوازم الأساسية لتعود الى انكلترا .

لكنها ستحتاج الى نقود لدفع أجرة سفرها . وحساب البنك الذي فتحه لها دومنيكو لم غشه حتى الآن . ثم ان البنوك لا تفتح الا متأخرا وهي لا بد أن تذهب حالا . ولكن كيف ؟

نظرت الى التليفون وتذكرت جيفري . وباندفاع اتصلت به تليفونيا .

«جيفري ؟ أنا كارولين . احتاج الى مساعدتك . أرجوك يا جيفري هل تساعدني لأصل الى انكلترا ؟»

فأكد لها أنه سيفعل كل ما يستطيع على الفور . ثم سألها :

«هل تريدان أن آخذك الآن ؟»

«نعم ، سأكون مستعدة عندما تصل . لا تحدث أي صوت . سأسمع سيارتك واخرج . أشكرك يا جيفري انك صديق حقيقي .»

ارتدت ملابس السفر وألقت نظرة أخيرة على غرفتها واتسلت الى أسفل الدرج .

ظلت أعصابها متوترة حتى سمعت صوت سيارة جيفري تفف فأسرعت الى حيث كان ينتظر وبسرعة انطلقت السيارة بهما .
قال جيفري :

«لم يكن لدي وقت لأتصل بالمطار يا كارولين . أعتقد أنه من الأفضل العودة الى مسكني لتناول الفطور ثم نتمكن من اجراء بعض الاتصالات عن أول رحلة ممكنة . ماذا تقولين ؟»
وافقت على اقتراحه وقالت :

«لا أعرف ماذا كنت أفعل بدونك يا جيفري ؟ من الصعب علي أن أطلب شيئاً من أحد ولكن لا بد أن أحصل على بعض النفود لمن بطاقة السفر . أيمكنك أن تقرضني بعضها ؟ سأردها اليك عندما أجد عملاً .»

«ماذا تعنين بقولك اني أن عهدي عملاً ؟ أظنك لا تعنين أن زوجك سيسمح لك بالعمل وهو من أغنى رجال روما ؟»

«لن يعرف دومنيكو اني تركته الى الأبد ! لا أتوقع أن أراه ثانية .»
وبعد تناول الفطور قال لها :

«حسنأ قصي على العم جيفري كل ما حدث .»

«لدي الشيء الكثير الذي أرويه الا أنني لا أعرف من أين أبدأ . أليس من الأفضل أن تتصل بالمطار تليفونياً فقلعنا نجد مقعداً خالياً

اليوم . يجب أن أرحل يا جيفري اذ أنني لو بقيت في روما واكتشف دومنيكو انني تركته فسيعثر علي بالتأكيد »

«وهل تعتبرين هذا شيئاً فظيلاً ؟»

«نعم فظيخ جداً الى الحد الذي أعتقد أنه ليس في استطاعتي تحمله .»
اتصل بالمطار ثم هز رأسه وقال :

«هناك مكان شاغر على طائرة تطلع في الساعة الثامنة وقد حجزته لك .»
ثم قال لها في حزم :

«الآن هل لك أن تقضي علي معنى كل هذا ؟ امامنا الكثير من الوقت لآخذك الى المطار . يمكنك أن تيدأي الحديث من أوله . هيا انطلقني .»

وبدت مترددة ثم قصت عليه كل ما حدث ابتداء من يوم جنازة أبيها الى أن خرجت معه من المنزل هذا الصباح .

فألقي عليها نظرة رثاء وهو يقول :

«مسكين يا دومنيكو العجوز . لم أعتقد أبدا أنه سيأتي اليوم الذي أشعر فيه بالأسف نحوه . أنت يا كارولين وضعت بين شقي الرحي .»

تريدين أن تقول انه بعد زواجك منه مازال يعتقد انك تحبين ابن عمه ؟ يا اللغبي المسكين !!»

«آه . لا تقل هذا يا جيفري ! الا تعتقد أنه كان علي أن أفعل ما فعلت ؟ لم أستطع أن أتركه يأخذ الطفل مني . كان لا بد أن أجعله يعتقد انني

دوردا . ثم تعاقبت الأحداث بسرعة وفي النهاية وقعت في شرك من الخداع ! والآن ألا ترى أنه يجب علي أن أذهب ؟»

«ولكن هل أنت واثقة تماماً من أنه سيكون غاضباً كما تعتقدين عندما يكتشف خدعتك ؟ لعل حبه الكبير لك يجعله يتغاضى عن تلك الخدعة . ولماذا لا تكلمينه على الأقل قبل مغادرتك روما ؟ اعطه فرصة الاستماع الى وجهة نظرك في الأمر كله قبل أن يصل فيتوال المنزل . قولي له الحقيقة أنت بنفسك يا كارولين».

«لا! لا يمكنني . يجب أن أرحل».

أخذها الى السيارة وانطلقت بهما . وأخذت تنظر الى معالم روما . وعندما فكرت في السنوات الطويلة التي ستعيشها من غير دومنيكو احتشنت قلبها حتى الانفجار.

وصلا الى المطار وبعد أن اشترى جيفري التذكرة ذهبا الى القاعة وشعرت بثقله عليها فنظرت اليه قائلة :

«لا تنزعج يا جيفري . اني أدرك ما أنا مقدمة عليه . أرجو ألا تقلق من أجلي».

«لا أستطيع يا عزيزتي . ماذا سيحدث لك عندما تصلين الى انكلترا؟ أين ستقيمين كيف يمكنك أن أبقي على الاتصال بك؟»

«سأكتب لك حالما أتمكن . وشكراً على كرمك . لدي ما يكفي من النفود الى أن أصل الى منزل صديقتي».

«مادمت متأكدة من ذلك فاني سأتركك تذهبين ولكن تذكرني يا عزيزتي اذا أحتجت إلي في أي وقت اخبريني وسأحضر في الحال».

ثم تركها وذهب الى احد المحلات حيث اشترى لها علبة كبيرة من

الشوكولاته ورزمة من المجلات . ولبح عنواناً في احدى الصحف الانكليزية فأخذها اليه وهو متهجم وقال :

«ترجلين في الوقت المناسب يا كارولين . الصحيفة هنا تقول إنه من المتوقع وصول فيتو اليوم الى هذا المطار وأنه سيحضر مع زوجته . قولي لي ما هو اسم أختك؟ هل هذه هي صورتها المنشورة في الجريدة؟»

اخذت الجريدة منه قرأت وجه دورندا الباسم فحدق في شاب أسمر يبدو بلا شك أنه من عائلة فيكاري . وقد أبرزت العناوين الخبر بشكل مشير بأن رقيقة هذا الايطالي لم تكف عن البحث عن أي خبر عنه وتتبع كل أثر له حتى نجحت في العثور عليه في مستشفى ارسالية وسط غابة افريقية . وكان يعاني من فقدان الذاكرة وأعراض اخرى . وحولت الصحيفة هذه الواقعة الى قصة مشوقة . وكتبت تفاصيل عن الزواج الذي تم في افريقيا.

اغرورقت عينا كارولين بدموع الفرح وهي تقرأ هذا الخبر . وأكثر ما أفرحها أن طفلها المحبوب سيكون أخيراً في كنف والديه.

بعدما سمعت النداء على رقم رحلتها :

«وداعاً يا عزيزي جيفري . هذه أحسن هدية بمناسبة سفري كان في وسعك تقديمها إلي . وقد اقتنعت الآن بالرحيل اذ هناك عضوان من أسرني على الأقل يعيشان في سعادة هما دورندا والطفل . هل تعذني يا جيفري ألا تذكر لدومنيكو أين ذهبت؟»

«اعدك بذلك . وداعاً يا عزيزتي سأظل اذكرك الى الابد».

رؤيتك ، قلت لجيم أمس إنه إذا لم يصلني منك رسالة واضحة
فسأذهب الى روما لأطمئن عليك .»

قالت جين بعدما استقرتا في غرفة الاستقبال :

«حسناً يا عزيزتي ، هل تودين التحدث في الأمر؟»

تركزت كارولين مقعدها وجثت على ركبتيها ودفنت وجهها في حضن
جين وروت لها القصة كاملة.

وعندما انتهت تناولت جين خديها بين أصابعها ونظرت اليها في
دهشة قائلة :

«أتعنين أنك تحبين زوجك ومع ذلك انسحبت ، لقد خاب املي يا
كارولين ! كنت اظنك اكثر جرأة .»

«كيف أبقي ؟ انه سيحتقري !»

وأخفت جين ابتسامة الانتصار عندما تبينت انها استطاعت
اثارتها. إلا انها لم تستطع كتمانها. ونظرت اليها كارولين في ارتياح
وبدأت عيناها تلمعان :

«تعمدت إثارة غضبي .»

«ليس كذلك؟ نعم يا عزيزتي ويجب أن تعترفى بأنك تشعرين
بتحسن الآن. ألسنت على حق؟»

لم نرد كارولين بل افترت شفتاها عن ابتسامة كدليل على رضاها.
كانت ضحكات توأمي جين تؤلم كارولين لأنها ذكرتها بالطفل
فيتو. ورأت رجلاً طويل القامة يسير على بعد فكان ذلك كافياً لكي

١٠ - الحقيقة !

سأل سائق السيارة كارولين بعدما اوقفته :

«الى أين يا أنسة؟»

قرأت له كارولين عنوان جين . فرّد عليها قائلاً :

«سنكون هناك بعد عشر دقائق .»

وعندما توقفت السيارة أمام منزل شبه منعزل توجهت في شيء من
التردد الى الباب الأمامي فتحة لها رجل طويل القامة . وللوهلة الأولى
تعجبت للطريقة التي استقبلها بها فقد نظر اليها وكأنه لا يعرفها :

«جيم ، انتي...»

«كارولين ، لم أعرفك للوهلة الأولى . تفضلي بالدخول ! ونادي جين .»

وأسرعت جين من المطبخ وهي في سعادة لا توصف لرؤية كارولين .

«لم لم تخبرينا بأنك اتية؟»

«سافرت في عجلة يا جين . أرجو ألا أكون قد أزعجتكما بزيارتي
المفاجئة ولكن في وسعي دائماً أن أذهب الى فندق .»

«فندق ؟ بالله عليك لا تفعل هذا ! لقد كنا في شدة الشوق الى

عنه. ويمكنني أن أضيف إلى ذلك أنني لم أر رجلاً أكثر اصراراً منه، فهو ينوي أن يبحث عنك في كل مكان حتى يهتدي إليك»

شبهت ومدت يدها لتمسك بمقعده حتى لا تترنح. فقد اعتقدت أنها لن تضطر إلى رؤيته ثانية وإن الحامى سيضوم بكل الإجراءات الضرورية لإنهاء زواجهما. وتوسلت إليه قائلة:

«يجب ألا تخبره بأنني كنت هنا يا سيد ولكنز. أرجوك لأنني لا أريد أن أراه ثانية.»

وشحب لونها فأجلسها ولكنز وطلب من سكرتيرته أن تأتيها بكوب من الماء.

وعندما ارتشفت الماء وتوقف الدوار طلبت منه مرة أخرى ألا يتصل بدومنيكو. فقال لها بحرماً:

«ولكن أعتقد يا عزيزتي أنه يجب أن تتقابلا وتصلحا ما بينكما. ومع أنني لا أظن أن الأمر سيتطور إلى هذا الحد. ولكن إذا ضاع كل أمل في المصالحة فلا بد أن تتقابلا وتتفاهما على كل شيء.»

«لن أقبل منه ملئاً واحداً. وعندما ينتهي زواجنا لن يكون مسؤولاً عني ولذلك لا أرى أي داع لإطلاعه على مشاريعي بالنسبة إلى المستقبل.»

«كيف ستعيشين؟ أنك غير مدربة على عمل معين وفي الحاشية يا فتاتي لقد عدت كما كنت بعد موت أبيك الفقير تفتقرين إلى الخبرة والمال.»

يبدأ قلبها في الحفقتان ولكي تحس بوخز في أعصابها إلى أن أدركت أنه لم يكن دومنيكو. لم يلتزم الجرح في قلبها لكنها تعلمت أن تخفيه شيئاً فشيئاً حتى عن جين.

قضت معهم حوالي أربعة أسابيع ولم تشأ أن تطيل الإقامة فابلغت جين بأن الوقت حان لتجد وظيفة وتستقر في منزل خاص. ورجتها جين أن تبقى، لكنها أصرت. وبدأت تحفظ وكان أول ما قرره هو أن تتصل بالسيد ولكنز لتخبره بأن دورندا لم تعد مفقوده. ولما كانت هذه المرة الأولى التي اتجه ذهنها فيها إلى السيد ولكنز منذ عودتها إلى انكلترا، فقد تذكرت أنه ما يزال يحتفظ لها بحصيلة بيع منزلها وأثاثها. وشعرت بارتياح عندما تذكرت أنها أخبرته بأنها ستتصل به عندما تريد منه أن يبحث إليها بالمال، فما أخرجها إليه الآن.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى البلدة الصغيرة التي فيها مكتب السيد ولكنز وعندما تقدمت لتحيته رمقها بنظرة من وراء نظارته وصددها بكلماته قائلاً:

«هل رأيت زوجك يا سيدتي الصغيرة؟»

«لا، هل تعني أنه في انكلترا؟»

فأجابها مستنكراً:

«بالطبع كان في هذا المكتب منذ ثلاثة أسابيع يسأل عنك. ولم أستطع مساعدته لأنني لا أعرف أي أخبار عن مكانك. وترك عنوان الفندق الذي يقيم به وطلب مني أن أتصل به بمجرد أن تصلني أخبار

وهز رأسه كما لو كان يائساً من اعادةها الى صوابها . ثم واصل القيام بأعماله بعد أن وعدها كارهاً بالألا يخبر دومنيكو اذا ما اتصل به ثانية.

وعندما عادت الى المنزل كانت ترتجف من شدة الانفعال : فبعد أن أسرع خارجة من مكتب السيد ولكنز أخذت تنظر الى الخلف خشية أن يكون دومنيكو وراءها . وحاولت أن تخفي صدمتها عن جين وأدهشها انها استطاعت ذلك . فقد بدت جين مشغلة الذهن ، وكان عليها أن تكرر عباراتها لكي تسترعي انتباهها . وأجفلت جين قائلة :

«أسفة يا عزيزتي . ماذا قلت ؟»

وكررت كارولين في صبر :

«قلت إنني رأيت السيد ولكنز ويبدو أن عندي مبلغاً لا بأس به في البنك لذا ينبغي علي أن أبحث عن مكان أقيم فيه.»

وبدا كأن هذه الكلمات قد أخرجت جين من أحلامها لأنها ناشدتها بجهد واصرار قائلة :

«الوقت ليس مناسباً . انتظري قليلاً.»

«ماذا يا جين ؟ ليس في وسعي أن أبقي هنا الى الأبد . وأنا اشكرك لاستضافتك لي طوال هذه المدة . لا أستطيع أن أفرض نفسي عليكما أكثر من ذلك.»

«انتظري بضعة أيام أخرى فقط يا كارولين . أرجوك.»

واحتارت كارولين لكنها قررت أن تستجيب لرغبة صديقتها

فهرزت كتفها وقالت :

«حسناً يا جين ، اذا كنت تصرين . ولكن أرجو ألا يظن جيم انني باقية هنا الى الابد.»

«لا . لا أظن ذلك.»

قررت كارولين عدم الاشارة الى أن دومنيكو موجود في البلدة وأنه يبحث عنها . فقد كانت في حاجة الى وقت كاف لتفكر في سبب اصرار ولكنز عليها لتقابل دومنيكو قبل أن يقررا ماذا سيفعلان .

ولم تكن قد اهتمت الى حل عندما طلبت جين منها ان ترعى طفلها في غيابها . اذ أنها دعيت مع زوجها الى حفل يقام في ذلك المساء وقالت ان المضيقة لا تعلم أن لديها ضيفاً . وبما أثار دهشة كارولين ان جين لم تفكر في الاتصال بهذه المضيقة لتسألها ان كان في استطاعتها اصطحاب كارولين معها . وتسبب هذا الاغفال في جرح شعور كارولين اذ أنها بدأت تشعر بحساسية لأنها أطالت مدة اقامتها . وتساءلت عما اذا كانا سيخلفان عذرا ليختلي كل منهما بالآخر لبعض الوقت . ولكنها سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة . ولذلك رحبت بالبقاء مع الطفلين وأصررت على أن تخرج جين هذا المساء لتصفيف شعرها والتجول بين المحلات وهو أمر كان متعذراً عليها بسبب وجود الطفلين .

وعاد جيم مبكراً مبتهجاً ، وبعد أن استعد للخروج وصف شعوره بأنه شعور شاب يتأهب لأول موعد له مع حبيبته . فقد مضى وقت

طويل دون أن يستطيعا أن ينميا بحياتها حتى جاءت كارولين لترعى طفلها.

أسرعت الى الطابق الاعلى حيث يرقد الطفلان لكي تبدل ملابسها وترتدي بنطلون جينز وقميصاً قصير الأكمام زهري اللون. وبينما كانت تسرح شعرها سمعت جرس الباب فابتسمت ظناً منها أنها جين التي اعتادت ان تنسى شيئاً كلما خرجت. ونزلت لتفتح الباب وعلى وجهها ابتسامة عريضة استعداداً للمازحة جين.

«جين، أنت...»

ثم توقفت وأمسكت بالباب وقد أحست بأن يداً تعصر قلبها. ثم صاحت في اختناق:

«دومنيكو!»

وقف ينتظر في وقار. ولما لم تتكلم ولم تتحرك افتعل ابتسامة خالية من الدعابة وسألها في هدوء:

«هل يمكنني الدخول؟»

«نعم... نعم، بالطبع.»

ظهرت وكأنها لا تعي ما تقول. وتحركت كإنسان آلي نحو غرفة الاستقبال وغاصت في أريكة وهي ترتجف ونظرت اليه للمرة الأولى وصدمتها علامات التوتر حول فمه والظلال التي تحيط بعينييه وحرك رأسه وهو يبحث عن علبة السكائر في جيبه نظرت اليه وقالت:

«كيف عرفت مكاني؟»

«بحثت عنك في البلاد طويلاً وعرضاً شهراً كاملاً، وسألت عن أخبارك لدى جميع أصدقائك ومعارفك وأخيراً وصلتني رسالة من أختك تشير علي فيه أن أبحث عن جين لأنها واثقة من أنك ستكونين معها. وكانت علي حق. فقد جئت الى هنا منذ بضعة أيام وقابلت جين واستطعت اقناعها بضرورة التحدث معك. ثم وعدت بأن ترتب لي لقاء معك على انفراد. يجب أن نتحدث يا كارولين. ألا ترين ذلك؟»

«نعم أظن ذلك.»

«أولاً. أريد أن أعذر عن أسلوبتي في معاملتك. عندما أخبرتني دورندا بما قمت به من أجلها.»

ولم تسعفه الكلمات. فنهض وأطفاً سيكارته بعصبية. لم تستطع رؤية وجهه ولكنها استطاعت ان ترى عضله تنقبض في خده وفي قبضة يديه وكأنه يجاهد لاستعادة رباطة جأشه:

«لقد تزوجتني لأنك خشيت أن أخذ الطفل منك عندما أعلم أنك لست أمه. أليس كذلك؟»

«نعم يا دومنيكو فعلت ذلك. انني أسفة لأنني اضطررت الى خداعك لكنني ظننت بانك لو اعتقدت بأن فيتو طفلي وانتي كنت أحب أباه فلن تحاول التفريق بيننا. كرهت نفسي بسبب هذه الخدعة. لكنني اضطررت الى ذلك يا دومنيكو. فقد كانت الطريقة الوحيدة أمامي.»

«أريدك أن تعرفي ان لا طلاق في وطني. هل المفروض أن أعيش وحيداً في إيطاليا بينما تقيمين أنت هنا في انكلترا؟ أم أنك مستعدة

للعودة معي لمحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه؟»

«ولكن ألا ترى يا دومنيكو انه يمكننا أن نبتل زواجنا ؟ ولهذا لا أدعك...!»

ثم توقفت عن الحديث واحمر وجهها خجلاً وهي تحاول ترجمة أفكارها الى كلمات . وعادت تحاول الحديث فقالت :

«ولهذا - في باريس وفي الفيلا...»

ولم تستطع أن تكمل . وبدأ أن دومنيكو لم تكن لديه النية لاجراجها من هذا المأزق ورغم أنها كانت واثقة انه يعرف تماماً ما كانت تحاول قوله .
وأثارها بقوله :

«هل تريدان الزواج من شخص آخر؟»

«لا بالطبع ! ولكن ألا ترى يا دومنيكو أننا اذا أبطنا الزواج أصبحت حراً وتزوجت كنديدا ؟»

فأجابها ببرود :

«ليست لدي رغبة في الزواج من كنديدا .»

فتراجعت الى الوراء قائلة :

«لكنك تحبها يا دومنيكو . انني أعرف ذلك وقد رأيتك في تلك الليلة وعرفت أنك تحبها.»

فقطب حاجبيه وبدأ محرجاً ثم قال :

«لو أنك أنعمت النظر في تلك الليلة يا كارولين للاحظت أنها هي

التي كانت تحتضني .»

«ولكنك كنت تخرج معها كل ليلة - هذا ما قاله لي جيفري . وفي الليلة التي خاطبتني تليفونياً قبل ذهابي الى الحفلة ، كانت معك . لقد سمعتها !»

«اسمعي يا كارولين ، لست أدري ما شأن كنديدا بعلاقتنا ، ولكن يبدو انه يجب التخلص من هذا الموضوع قبل أن نخوض في الحقائق . انها مديرة الشركة كما أنها من أفراد العائلة وبينما كنت غائبة تعرضت الأعمال الى ازمة كبيرة وطلبت مني أن اسوي الأمور مما تطلب مجهوداً كبيراً ولم يكن لدي وقت أصيحه إلا في المساء . يجب أن تتذكري أن العمل أهمل في غيابي وتراكم في المكتب وكنت مضطراً الى مساعدتها.»

ثم استطرد :

«أعترف بأنها بدأت تحاول السيطرة عليّ في ليلة الحفل لكنك لو انتظرت لسمعتني أوضح لها أن اهتمامي بها كان مجرد اهتمام بالعمل . وبالنسبة الي فقد كانت رفيقة الصبا وطالما هوننا معا ولا شيء أكثر من ذلك . هل هذا يرضيك ؟»

نظرت اليه في أمل بعد أن جردته رقة عينيها من أسلحته . وصاح متألماً :

«أرجوك أن تعودني معي يا كارولين ! كانت الأسابيع الماضية جحماً . أعدك بأنني لن أطالبك بشيء بل امنحيني فرصة أخرى . أعرف انني

لا أستحقها ، وفي الحقيقة لا أستطيع أن ألومك لو رفضت ذلك .
ثم قال بصوت قريب من الهمس :

« انني أحبك يا عزيزتي . أحبك ولا أحتمل التفكير في المستقبل من دونك . »

تواضع دومينكو، الروماني المتعجرف كان أكثر مما تستطيع اعتاله .
كانت تريده في الحاح ولكن ليس هكذا ! دومينكو المتعالي يقول لها إنه سيقنع بأي جواب يصدر عنها .

مالته نحوه وقلبهما يخفق في شدة . ورفعت وجهها اليه وتمتمت :

« أه يا دومينكو يا حبيبي الغالي . »

استرد دومينكو أنفاسه وقال :

« أتعتين انني عانيت طوال هذه الاشهر على رغم انك تحبينني ؟ »

احاطت رقبته بذراعيها وضمت نفسها اليه في تأكيد أسعده ثم قالت :

« أحببتك منذ ذلك اليوم في باريس يا عزيزي لكنني لم أجرؤ على أن أدعك تعرف ذلك . وانت متى احببتني ؟ »

فابتسم قائلاً :

« كانت المرة الأولى في الحديقة يا عزيزتي . كنت ترتدين الملابس نفسها التي ترتدينها الآن لكنني لم أبال . لقد وقعت في حب فتاة متهورة تلبس الجينز ولها عينا زرقاوان وجسم ملائكي يتمنى أي رجل أن ينظر اليه . »

واستطرد قائلاً :

« المرة الثانية التي ازددت حباً لك فيها كانت يوم زواجنا . ولكن في باريس كنت متباً . انني أحمل ذكرى تلك الليلة التي لم تفارقني .
واحر وجهها خجلاً عندما تذكرت ارتباكها عندما استيقظت ووجدت نفسها في ثوبها الأسود الشفاف . »

وفجأة انطلقت ضحكته وجذبها اليه بحرارة شديدة . وتحملت نظرتة دون احتجاج وكادت تبكي عندما همس قائلاً في جد :

« لو كان علي أن أختار لحظة في قلبي ، لما اخترت إلا هذه اللحظة يا عزيزتي لقد بحثت طوال حياتي عنك . ولو كتب علي العناء لأجلك لقبلت ذلك . انني لا أستحق عذوبتك وحبك لكنني سأكرس حياتي لرعايتك . »

شكرته على حبه في صمت . ونسيت كل ما لاقته من عذاب في الأسابيع الماضية .

واعترف لها في صوت ضعيف قائلاً :

« انني أشعر بالغيرة من كل رجل سبقني اليك . قولي لي ثانية إنك تحبينني ! »

« دومينكو . هل تشعر بالغيرة من أبي ؟ »

« أبوك ؟ »

« نعم فهو الرجل الوحيد الذي احببته قبلك . »

ألما أن وجهه شحب لونه ثم أداره بعيداً عنها وتولاه شعور

بالضعة عندما أدرك أن معاملته السابقة لها ضايقتها . واحمر وجهه
كدليل على شعوره بالحرج . فضمته اليها بكل ما في اعماقها من
حنان بحيث لم يعد يشعر بأي ذنب . وأطمأن أخيراً الى أنها كانت له
وحده . وتمتم في أذنها قائلاً :

«أتدريين الى أين سنذهب يا عزيزتي ؟»

فهرزت رأسها في دهشة ولم تعد تبالي مادامت ستكون معه .

واضاف :

«سنذهب الى باريس لقضاء شهر العسل . لكن الأمر سيختلف هذه
المرّة ! سيختلف تماماً ...»

فتنهدت وقالت في سعادة غامرة :

«آه . نعم . يا دومنيكو أرجوك !»